الكتاب الثالث عشر

الفصل الأول

1- فلينته هنا وصف فريجيا. لكنني بالعودة مرّة أخرى إلى البروبونتيدا والساحل المتاخم لإيسيب، سوف ألتزم الترتيب السابق لوصفي. فأوّل بلاد على هذا الساحل هي طروادا، ومع أنّ هذه البلاد هي الآن أطلال مهجورة، إلاّ أنّ ما يقع على يسارها يتطلّب وصفاً شاملاً ودقيقاً. ولذلك ينبغي عليّ أن أعتذر وأرجو القارئ ألاّ يلقي على عاتقي مسؤولية الإسهاب في الوصف، بل على أولئك الذين تتملّكهم رغبة شديدة بالتعرّف إلى الأماكن القديمة الشهيرة. ويطول الوصف كذلك لأنّ البلاد مسكونة بكثرة من الإغريق والبرابرة، عدّاك عن أن المؤرّخين ينقلون معطيات متباينة عن الأماكن عينها والأشياء عينها، ويكتبون أشياء مبهمة في أحيان كثيرة، الأمر الذي يؤدّي بدوره إلى طول الوصف. وأوّل الكتّاب الذي يرغمك على إنشاء فرضيات بخصوص أكثر أخباره هو هوميروس. وينبغي أن نتأمّل في أخباره هذه كما في المعطيات التي ينقلها الكتّاب الآخرون أيضاً، لنعطي في أوّل الأمر لمحة عامّة عن طبيعة المكان.

2- يمتدّ ساحل بروبونتيدا من منطقة كيزيك والأماكن التي على إيسيب وغرانيكوس وصولاً إلى أبيدوس وسيستوس، بينما تمتدّ من أبيدوس حتّى ليكتوس المناطق الواقعة عند إيليون، وتينيدوس، وإسكندرية طروادا. ويرتفع فوق هذه الأراضي كلّها جبل إيدّا الذي يمتدّ حتّى ليكتوس. ومن ليكتوس حتّى نهر كايك وإلى كانا تأتي المناطق المحيطة بآسوس، وأدراميتوس، وأتارنيوس، وبيتانا، والخليج الإيلايتي. وعلى طول هذه الأماكن كلّها تمتدّ جزيرة الليسبيين التي تقع قبالتها؛ ثمّ تأتي بعد ذلك مباشرة المناطق التي تحيط بكيما حتّى جيرم وثوكيا؛ وهذه الأخيرة هي أوّل إيونيا، ونهاية إيوليدا. وفي توضّع الأماكن هذا، يوحي لنا الشّاعر بأن الطرواديين

امتلكوا المنطقة حتّى نهر كايك؛ وقد انقسمت بلادهم إلى 8 أو 9 ممتلكات مستقلّة. غير أنّ قوى القبيلة الداعمة الأخرى تحسب بين الحلفاء.

3- لكنّ أحدث الكتّاب، على الضدّ من هذا لا يشيرون إلى هذه الحدود، ويعطون المصطلحات مغزى مغايراً، لأنهم يجيزون عدداً أكثر من الأجزاء. وقد شكّلت المستعمرات الإغريقية السبب الرئيس لهذا التباين. غير أنّ مسؤولية المستعمرات الإيونية أقلّ (لأنّ إيونيا تقع بعيداً عن طروادا)، أمّا المستعمرات الإيولية فمسؤوليتها كاملة، لأنها كانت تنتشر على امتداد البلاد كلّها، من كيزيكينا حتّى كايك، وشغلت حتّى المنطقة الواقعة بعد ذلك بين نهريّ كايك وجيرم. وكما يقولون، فإن حركة الاستعمار الإيولية هي فعلاً أقدم من الإيونية بأربعة أجيال، لكنّ بعضهم أجاز وجود فواصل زمنية أطول. فأوريستوس وضع بداية الحملة؛ وبعد أن توفّي البطل ورثه في أركاديا ابنه بينثيلوس الذي وصل حتّى تراقيا بعد مضيّ 60 عاماً على حرب طروادا، تقريباً لدى عودة الهيراقليين إلى البيلوبونيز؛ ثمّ قاد ابنه أرخيلايوس حملة الإيوليين على كيزيك المعاصرة عند داسكيوس؛ ثمّ توغّل ابنه الأصغر غراسوس حتّى نهر غرانيكوس، لأنه كان يمتلك تجهيزات أفضل، وجّه القسم الأكبر من قواته إلى ليسبوس واستولى عليها. وفي الوقت نفسه كان يحذو حذو بينثيلوس كليف بن دوروس، ومالايوس حفيدا آغاممنون ويجمعان القوات أيضاً؛ لكنّ أسطول بينثيلوس كان قد أبحر من تراقيا إلى آسيا، أمّا كليف ومالايوس فقد صرفا وقتاً طويلاً عند لوكريدا وجبل فريكوس، ولم يتسنّ لهما أن يتوجها إلى هناك إلاّ فيما بعد، فأسّسا كيما الفريكوسية، التي دعيت بهذا الاسم تيّمناً بالجبل اللوكري.

4- وبما أنّ الإيوليين انتشروا على امتداد البلاد كلّها، التي كنت قد قلت إن الشّاعر دعاها طروادية، فإن فريقاً آخر من الكتّاب يدعو البلاد كلّها إيوليدا، وفريق آخر يدعو شطراً منها فقط بهذا الاسم، ولا يتّفق أيّ من الفريقين مع الآخر اتّفاقاً تامّاً في أيّ شيء. فهوميروس يرى بداية طروادا في مكان على البروبونتيدا من نهر إيسيب[1] مباشرة، بينما يقلّص إيفدوكس حدودها لتبدأ عنده من برياب وأرتاكا، من موقع على جزيرة الكيزيكيين يقع قبالة برياب؛ ويقلّص داماستوس حدود هذه البلاد أكثر، إذ يجعل بداية حدوها عند باري؛ ولا يسير فيها إلاّ حتّى ليكتوس؛ أمّا الكتّاب الآخرون، فلهم موقف مغاير أيضاً. فكارون اللامبساكي يقلّص امتداد البلاد 300

مرحلـة أخـرى، إذ يبـدؤها مـن براكتيـوس (لأن المسـافة مـن بـاري إلى براكتيـوس 300 مرحلـة)؛ ويمضـي بحـدود البـلاد في غضـون ذلـك حتّـى أدراميتـوس. ويبـدأ سـكيلان الكارياندي من أبيدوس. وعلى النحـو عينـه يؤكّـد إيثـور أنّ إيوليـدا تمتـدّ مـن أبيـدوس حتّى كيما، لكنّ آخرين يحدّدون حدودها على نحو مغاير.

5- يتحدّد موقع طروادا، بالمعنى الدقيق للكلمة، على أفضل وجه بموقـع إيدّا، وهـو جبـل عـال يتّجـه غربـاً ونحـو البحـر الغربـي، لكنّـه ينعطـف قليـلاً نحـو الشـمال والساحل الشمالي. وهذا الساحل هـو سـاحل البروبونتيـدا مـن مضيـق أبيـدوس حتّـى نهـر إيسيب ومنطقـة الكيـزيكيين، بينمـا البحـر الغربـي، هـو الهليسـبونت الخـارجي وبحـر إيجـة. ولإيـدّا ذيـول كثيرة، وهـو يشـبه مـن حيـث الهيـأة، السـكولوبيندروس[2] ويحـدّده موقعان طرفيان: الرأس البحرية التي عند زيليـا مـن جهـة، والـرأس البحريـة الـتي تـدعى ليكتـوس مـن جهـة أخـرى؛ وتنتهـي الأولى في عمـق البـلاد إلى الأعلـى قليـلاً مـن المنطقـة الكيزيكيـة؛ وزيليـا تعـود الآن فعـلاً للكيـزيكيين، بينمـا تمتـدّ ليكتـوس حتّـى بحـر إيجة وتقع على الطريق البحرية إذا أبحرت من تينيدوس إلى ليسبوس:

سرعان ما رأوا إيدّا، أمّ الوحوش الغزيرة المياه،

عند ليكتوس التاركة البونتس...

(الإلياذا XII، 19)

وهيبنوس وهيرا على وجه التحديد، ويحدّد الشّـاعر موقع ليكتوس في غضون ذلـك بمـا يتوافق وواقع الأشياء، فهو محقّ عندما يـرى أنّ ليكتـوس جـزء مـن إيـدّا، مفترضـاً أنهـا أوّل مكـان ينـزل فيـه مـن البحـر الصـاعدون إلى إيـدّا؛ وأنّ إيـدّا «غزيـر الميـاه» لأنّ هـذا الجانب من الجبل فيه كثرة كثيرة من الينابيع. وهذا ما تدّل عليه كثرة الأنهار،

التي تنحدر من جبال إيدا إلى البحر الصاخب،

ريسوس، هيبتابوروس...

(الإلياذا XII، 19)

والأنهـار الـتي تـأتي بعـدها[3] ويـأتي الشّـاعر علـى ذكرهـا، ويمكـن أن نراهـا الآن في أيامنا هذه. وفي الوقت الذي يسمّي فيه أقصى الذيول على جانبيّ ليكتوس[4] وزيليـا[5]، فإنه يميّز كـلاً منهـا عـن قمّـة جبـل غارغـاروس الـتي يـدعوها «الشـغفة»[6]. وحتـى يومنـا هذا يرونك مكـاناً في أعلـى أجـزاء إيـدّا يـدعى غارغـاروس، ومنـه أخـذت اسمهـا المدينـة

الإيوليـة غارغـارا. وعلـى هـذا النحـو تقـع بـين زيليـا وليكتـوس ابتـداء مـن البروبونتيـدا المناطق التي تمتدّ حتّى مضيق أبيدوس أوّلاً، ثمّ المناطق التي تمتدّ حتّى ليكتوس خارج البروبونتيدا.

6- وإذا مـا تجـاوزت ليكتـوس ينبسـط أمامـك خليـج رحـب يشـكّله إيدّا (الـذي يتراجع نحو البرّ) وكانـا، وهـي رأس بحرية تقـع علـى جانبيّ ليكتوس. ويدعو بعضهم هذا الخليج خليجاً إيدّياً، ويدعوه آخرون أدرميتينياً. وتقع فيه مدن إيولية، كما كنت قد قلت[7]، تصـل حتّـى مصبّ جيـرم. وأنـا كنـت قـد أشـرت في أجـزاء عملـي هـذا السابقة[8] إلى أن الطريق جنوباً بالنسبة للمبحرين من بيزنطا تقع على خطّ مستقيم، في الأوّل إلى سيستوس وأبيدوس عبر وسط البروبونتيدا، ثمّ على طول ساحل آسيا حتّى كاريا. وينبغي أن تؤخذ هذه الفرضية بعين الحسبان، عندما نستمع إلى الوصف الذي يلي؛ فإذا كنت أذكر خلجاناً معروفة على الساحل، فإنه ينبغي أن نفكّر بالرؤوس البحرية التي تشكّلها وتقع على الخطّ نفسه، كما لو كانت على دائرة عرض ما.

7- ويفترض الذين درسوا هذه المادّة[9] دراسة معلّلة وافية استندت إلى معطيات الشاعر، أن هذا الساحل كلّه كان خاضعاً للطروادیين؛ مع أنه كان مقسماً إلى 9 ممتلكات، لكنّه في زمن الحرب الإيليونية كان تحت سلطة بريام وقد دعي طروادا. وهذا واضح من بعض أقوال الشاعر. فعندما رأى أخيليس وقواته بادئ الأمر أن أسواراً حصينة تحيط بسكّان إيليون، بدؤوا العمليات القتالية خارج الأسوار، فشنّوا غزوات على الضواحي ونهبوها:

لقد خرّبت بسفني اثنتي عشرة مدينة كثيرة السكّان،

وأخذت في البرّ إحدى عشرة في الأرض الطروادية الغنية.

(*الإلياذا* IX، 328)

فأخيليس يدعو طروادا بالبلاد التي نهبها؛ لكنّه نهب في الوقت نفسه أماكن أخرى والمناطق الواقعة قبالة ليسبوس بجوار طيبة، وليرنيس، وبيداس،[10] التي تعود لليليغيين، ونهب أيضاً أملاك يفريبيلوس بن تيليث:

هكذا أهلك يفريبيلوس بن تيليث، بالنحاس المهلك.

(*الأوذيسا* XI، 518)

إنّ نيوبتوليموس هو على وجه التحديد الذي قتل يفريبيلوس البطل. فالشّاعر يقول بعد ذلك بوضوح، إنّ هذه المناطق وليسبوس نفسها قد خرّبت ونهبت:

... عندما دمّر ليسبوس المزدهرة،

(الإلياذا IX، 129)

كما نهب أيضاً بيداس وليرنس،

(الإلياذا XX، 92)

دمّر ليرنيس نفسها وأسوار طيبة العالية.

(الإلياذا II، 691)

وفي ليرنيس أُخذت بريسيدا أسيرة:

الفتاة التي أخذها من ليرنيس؛

(الإلياذا II، 690)

ولدى أسرها، كما يقول الشاعر، سقط مينيس وإيبيستروث، وهذا ما قالته بريسيدا بوضوح وهي تندب باتروكليس:

وأنا أبكي، عندما قتل إخيليس الذي يقاتل المدينة،

زوجي ودمّر مأوى مينيس، أخذت تعزّيني...

(الإلياذا XIX، 295)

وإذ يدعو الشّاعر ليرنيس «مأوى مينيس الإلهي»، فإنه يشير إلى أنّ مينيس كان حاكم هذه المدينة، وأنه سقط دفاعاً عنها. أمّا كريسيدا فقد أُخذت أسيرة من طيبة:

هاجمنا طيبة المقدّسة، مدينة الإيتونيين.

(الإلياذا I، 366)

ويقول الشاعر، إن كريسيدا[11] كانت بين الأسرى الذين سيقوا من هناك. ومن هناك كانت أندروماخا:

هناك أندروماخا...

سليلة البيت الثري، ابنة إيثيون الرائعة.

هذا الإيثيون الذي كان يقطن عند سفح بلاكوس

الكثيف الشجر، في طيبة البلاكوسية، سيّد الرجال الكيليكيين.

(الإلياذا VI، 395)

إنّ هذه الملكية الطروادية الثانية بعد ملكية مينيس. وهذا ما تتوافق معه كلمات أندروماخا:

هيكتور، يالفجيعتي بك، أنا التاعسة!

ولدنا ليكون مصيرنا واحداً: أنت في إيليون،

في بيت بريام، وأنا السيّئة الطالع، في طيبة؛

(الإلياذا XXII، 477)

لكنّهم يفترضون إنه ينبغي ألاّ نفهم هذا المقطع بمعناه الدقيق المباشر، خاصة قولها: «أنت في طروادا، وأنا في طيبة»، بل بصفته خللاً في ترتيب الكلمات بمعنى: «كلانا ولد في طروادا، أنت في بيت بريام، وأنا في طيبة». وكانت الملكية الثالثة العائدة لليليغيين، ملكية طروادية بالقدر عينه:

ابنة ألتيس العجوز،

ألتيس ملك قبيلة الليليغيين الشجعان،

(الإلياذا XXI، 86)

الذي أنجب بريام من ابنته ولديه ليكاون وبوليدوروس. وكذلك الأمر في «سجلّ السفن»، إذ يدعى الذين تحت حكم هيكتور طرواديين:

الطرواديون الشجعان، الذين قادهم ذو الخوذة

اللامعة، هيكتور العظيم.

(الإلياذا II، 816)

ويأتي بعد ذلك الخاضعون لسلطة إينياس:

في إثرهم الداردنيين الذين قادهم ابن الأنخيسيين الماجد،

(الإلياذا II، 819)

وقد كان هؤلاء طرواديين؛ وفي أقلّ تقدير يقول الشاعر:

إينياس! يا ناصح الطرواديين.

(الإلياذا XX، 83)

ويلي ذلك، الليكيون الذين كان يقودهم بانداروس، وقد دعاهم الشّاعر طرواديين أيضاً:

الرجال الذين يعيشون في زيليا، عند سفح إيدّا الكثير التلال،

المواطنون الأثرياء[12]، الشاربون مياه إيسيب السوداء،

قبيلة طروادية، قادهم رامي السهام الأفضل، بانداروس

الليكاوني.

لقد كانت هذه الملكية السادسة. وبعد ذلك كان ثمّة طرواديون أيضاً بين إيسيب وأبيدوس؛ فلم تكن المناطق الواقعة عند أبيدوس وحدها تابعة لآسيوس:

الرجال الذين يعيشون في بيركوتا ويقطنون كلّ مكان من براكتيون،

ومدن سيستوس، وأبيدوس ومواطنو أريسبا المقدّسة

الذين نظّم جحافلهم آسيوس سيّد هيرتاكيدس.

(الإلياذا II، 835)

وكان يعيش في أبيدوس ابن بريام الذي كان يرعى الجياد، ومن الواضح أنها كانت جياد والده:

لقد أصاب ديموكوون بن بريام غير الشرعي

الذي انحدر إلى بيت من أبيدوس تاركاً المهرات العدّاءة

(الإلياذا IV، 499)

وفي بيركوتا كان ابن إيكيتاون يرعى الثيران، ومن البديهي أنها لم تكن ثيران الآخرين[13]:

... وأكثر من جميعهم ابن إيكيتاون

لقد عذل ميلانيبوس الذي من قبل في بيركوتا

يرعى الثيران الملتوية القرون...

(الإلياذا XV، 546)

وهكذا فإن هذه المنطقة كانت لطروادا أيضاً، وكذلك المنطقة التي تليها وصولاً حتّى أدراستيا؛ وكان يحكمها:

ابنا ميروبس البيركوتي

(الإلياذا II، 831)

وعلى هذا النحو كان سكّان المنطقة الممتدة من أبيدوس إلى أدراستيا كلّهم

طـرواديين، مـع أنهـم انقسـموا إلى قسـمين: قسـم تحـت حكـم آسـيوس، والقسـم الآخـر تحت حكم ولديّ ميروبس؛ وعلى النحو عينه انقسمت بـلاد الكيليكـيين إلى قسـمين: كيليكيا الطيبيّة، وكيليكيا الليرنية؛ بيد أنه يمكن أن نلحق بهذه الأخيرة المنطقة الخاضعة لحكم يوربيلوس، والتي تقع على مقربة من كيليكيا الليرنية. ولكنّ هذه المناطق كلّها كانت تخضع لبريام، وهذا ما تشير إليه بوضوح كلمات أخيليس لبريام:

سمعنا أيها الشيخ أنك تنعّمت من قبل هنا،

بقدر ما ضّم من الشعوب موطن ماكار، وليسبوس.

وفريجيا، الإقليم الوفير الغلال، وهنا الهليسبونت اللامتناهي

(الإلياذا XXIV، 543)

8- لقد كان ذلك هو واقع الأشياء، بيد أن تغيّرات مختلفة وقعت بعد ذلك. فالمناطق المحيطة بكيزيك سكنها الفريجيون وصولاً إلى براكتيوس، وسكن التراقيون المناطق التي عند أبيدوس، وقبلهما معاً سكن هنا البيبريكيون، والدريوبيون. وسكن التريريون وقبيلة تراقية الأراضي الواقعة بعد هذه، وسكن الليديون سهل طيبة، وكانوا يدعونهم حينئذٍ ميونيين، كما سكن هنا أيضاً الذين بقوا على قيد الحياة من الميسيين الذين كانوا قبل ذلك تحت سلطة تيلين وتيثرانس. وبما أن الشّاعر وحّد إيوليدا وطروادا في كلّ واحد، وبما أنّ الإيوليين كانوا يملكون كلّ الأرض من جيرم حتّى ساحل كيزيك، وبنوا هناك مدناً، فإنني على أغلب الظنّ أملك من الأسس ما يكفي لكي أوحّد في وصفي ما يدعى الآن إيوليدا التي تمتدّ من جيرم حتّى ليكتوس، مع المنطقة التي تليها مباشرة، وصولاً حتّى إيسيب. ولكنني سأعود وأفرّق بينهما من جديد لدى وصفي التفصيلي، إذ أقارن شهادة هوميروس وآخرين، مع الواقع الراهن للأشياء.

9- إذن تبدأ طروادا بحسب هوميروس، بعد مدن الكيزيكيين ونهر إيسيب. فالشّاعر يقول عنها:

الرجال الذين يعيشون في زيليا، عند سفح إيدّا الكثير التلال،

المواطنون الأثرياء، الشاربون مياه إيسيب السوداء،

قبيلة طروادية، قادهم رامي السهام الأفضل، بانداروس الليكاوني

(الإلياذا II، 824)

كما يدعونهم ليكيين أيضاً. ويرى بعضهم أنهم يدعون أثنيسيين تيمّناً ببحيرة أثنيتيدا، وتحمل بحيرة داسكيليتيدا هذا الاسم نفسه أيضاً.

10- إذن تقع زيليا على أقصى منحدرات إيدّا، على بعد 190 مرحلة من كيزيك وما يقارب 80 مرحلة من أقرب بحر، حيث يصبّ إيسيب. ويذكر الشّاعر على التوالي الأماكن الواقعة على طول الساحل بعد نهر إيسيب:

لكنّ رجال أدراستيا، وبيتييا وسائر أنحاء أبيسوس

والشعب القاطن تيرييا، الجبل العالي،

أولئك قادهم أدراستوس وأمفيوس ذو الدرع الكتانية؛

وهما ولدا ميروبس البيركوتي.

وتقع هذه المناطق تحت زيليا، ويسكنها حتّى الساحل سكّان كيزيك وبرياب. ويجري قرب زيليا نهر تارسوس الذي له 20 معبراً على الطريق عينها، مثله مثل نهر هيبتابوروس الذي ذكره الشاعر(14). وللنهر الذي يجري من نيقوميديا إلى نيقيا 24 معبراً، أمّا النهر الذي يجري من فولويا إلى إيلييا فله معابر كثيرة [....](15)، ولنهر سكافرون 25 معبراً؛ أمّا النهر الذي يجري من منطقة الكوسكينيين إلى ألاباندا، فله معابر كثيرة، وللنهر الذي يجري من تيانا إلى سولا عبر طوروس، له 75 معبراً.

11- وفوق مصبّ إيسيب على مسافة تقارب [....](16) مرحلة، يعلو تلّ يرونك عليه قبر ممنون بن تريفون. وعلى مقربة تقع قرية ممنون. ويجري بين إيسيب وبرياب نهر غرانيكوس الذي يعبر بقسمه الأكبر سهل أدراستيا، حيث هاجم الإسكندر بقواته كلّها ولاة داريوس وألحق الهزيمة بهم، واستولى بذلك على كلّ المنطقة الواقعة على هذا الجانب من طوروس والفرات. وكانت تقوم على نهر غرانيكوس مدينة سيدينا التي كانت تتبع لها ضاحية شاسعة تحمل الاسم عينه؛ لكنّها الآن أطلال مهدّمة. وتقع على حدود منطقتيّ كيزيك وبرياب منطقة هارباغيا(17) حيث اختطف غانميدس، كما يروي بعض الأساطير، مع أن أساطير أخرى تقول، إنه اختطف من عند رأس داردانوس البحرية قرب داردان.

12- وبرياب هي مدينة ساحلية وميناء، أسّسها الميلتوسيون، كما يقول بعض الروايات، وكان هؤلاء قد أرسلوا في الوقت نفسه مستعمرة إلى أبيدوس وبروكونيس؛ لكنّ روايات أخرى تقول، إن سكّان كيزيك هم الذين أسّسوها. وقد دعيت المدينة

على اسم برياب الذي كـان يحظـى بـاحترام كـبير هنـاك؛ ثمّ نقلـوا عبادتـه إلى هنـا مـن أورنيوس الواقعة قرب كورينثوس، أو أنّ السكّان أخذوا يعبدون هذا الإله لأنّهم عدّوه ابن ديونيسيوس والحورية؛ فهذه المنطقة والمناطق المجاورة لها غنية جداً بكروم العنب، خاصـة منطقتـا البـاريين واللامبسـاكيين. وعلـى أيّ حـال فـإن كسـيراكس أعطـى ثيميستوكليس مدينـة لامبسـاك «للنبيـذ». وعلـى وجـه العمـوم فـإن السـكّان لم يعلنـوا برياب إلهاً إلاّ في زمن متأخر، لأنّ هسيود نفسه لا يعرفه؛ ويشبه برياب آلهة أتيكا: أورفانا، وكونيسالوس، وتيخون، ومن في حكمهم.

13- لقد كانت هذه البلاد تدعى أداراستيبيا وسهل أدراستيا تبعاً لتقليد ما يقضي بإعطاء اسمين للمكان نفسه، كما هي حال طيبة التي دعيت سهل طيبة أيضاً، ومثلها ميغدونيا وسهل ميغدونيا. وعلى حدّ قول كليسفين أن أدراستيبيا دعيت على اسم الملك أدراستوس الذي كان أوّل من أسّس معبد نيمسيس. وعلى هذا النحو تقع المدينة بين برياب وباري؛ وينبسط تحتها سهل يحمل اسمها، ويقوم هنا موْحى أبوللون الأكتي وأرطميس[18] [....]. وبعد تهديم المعبد نقلت موجوداته وحجارة بنائه إلى باري حيث بني مذبح بناه المعماري الشهير هيرموكريونت، وقد اشتهر المذبح بأبعاده الكبيرة وجمال بنائه. لكنّ الموْحى دمِّر، مثله في هذا مثل موْحى زيليا. ومع ذلك لا يدلّون هنا على معبد أدراستيا، ولا على معبد نيمسيس، مع أن معبد أدراستيا موجود قرب كيزيك. فأنتيماخ يقول الآتي:

توجد نيمسيس، الإلهة العظيمة التي تلقت هذا كلّه
من المغبوطين[19] تقدمة أدراستوس أوّل من بنى
لها مذبحاً على ضفّة إيسيب المقدّس؛
هناك يرفعون لها آيات التكريم تحت اسم أدراستيا

14- وباري مدينة ساحلية فيها ميناء أكبر من ميناء برياب، بل تضاعفت أبعاده على حساب ميناء برياب. لأنّ سكّان باري نالوا حظوة لدى الأتّاليين الذين كانت منطقة برياب خاضعة لسلطتهم، فاقتطعوا بإذن من الملوك الأتّاليين الشطر الأكبر من هذه الأراضي. ويروون هنا رواية أسطورية عن آصرة نسب تجمع بين الأوثيوجينيين[20] والثعابين؛ فيقولون، إن رجالهم يشفون الذين تلدغهم الثعابين وذلك بملامستهم لهم من غير توقّف، كما يفعل الرقاة؛ وفي الأوّل ينقلون الكدمة التي تسببها لدغة الثعبان إلى

أجسـادهم، ثـمّ يوقفـون الالتهـاب والألم. وبحسـب الأسـطورة أنّ مؤسّـس القبيلـة بطـل مـا كـان قـد تحـوّل مـن ثعبـان إلى إنسـان. وربّمـا كـان هـذا واحـداً مـن السـيليين الليبـيين، انتقلت «قوّته»[21] إلى عشيرته لبعض الوقت. لقد تأسّـست بـاري علـى أيـدي الميلتوسـيين، والإريثريين، والباريين.

15- وتقـع بيتييـا[22] في بيتيونـت الـتي تقـع في منطقـة بـاري؛ ويرتفـع فوقهـا جبـل تكسوه غابة من شجر الصنوبر؛ وهي تقع بـين بـاري وبريـاب باتجـاه لينـوس، وهـو موقـع ساحلي يصيدون فيه أفضل القواقع في العالم.

16- وعلـى السـاحل لـدى الإبحـار مـن بـاري إلى بريـاب تقـع بروكـونيس القديمـة وبروكونيس الجديدة؛ وفي هذه الأخيرة مدينة ومقالع شهيرة جدّاً لحجر المرمر الأبيض. وعلـى أيّ حـال فـإن أجمـل الأعمـال الفنيـة في مـدن هـذه المنطقـة مـن العـالم، خاصـة في كيزيك، صنعت من هذا المرمر. ومن هنا تحـدّر أريسـتوس، مؤلّـف الملحمـة الـتي تـدعى ملحمة الأريماسبيين، والمخاتل الذي لا يجاريه أيّ مخاتل آخر[23].

17- أمّـا جبـل تيرييـا[24] فـإنّ بعضـهم يـرى فيـه سلسـلة جبليـة في بـيروس الـتي يشغلها الكيزيكيـون قـرب زيليـا، حيـث كـان الليـديون، ثـمّ الفـرس ينظّمـون رحـلات الصيد الملكية؛ بينما يشير آخرون إلى هضبة تقع على بعـد 40 مرحلـة مـن لامبسـاك، حيث يقوم معبد والدة الآلهة الذي يحمل الاسم الديني «معبد تيرييا».

18- ولامبسـاك مدينـة سـاحلية فيهـا مينـاء جيّـدة، وهـي مدينـة كـبيرة لا تـزال تحافظ على نفسها بحالـة رائعـة، مثلـها في هـذا مثـل أبيـدوس. والمسـافة بينهـا وبـين هـذه الأخيرة 170 مرحلة. ويقال إنها كانت تدعى في الماضـي بيتيوسّـا، كمـا كيـوس أيضـاً. وعلـى سـاحل كيرسـونيس الآخـر تقـع مدينـة صـغيرة هـي مدينـة كـاليبوليس وتقـع هـذه الأخيرة على رأس بحرية تغوص عميقاً نحـو آسـيا إلى مدينـة اللامبسـاكيين، بحيـث لا يشكّل المعبر أكثر من 40 مرحلة.

19- وبين لامبساك وباري كانت ثمّة مدينة ونهـر يحمـلان اسـم بيسـوس؛ لكـنّ المدينـة دمّـرت، ونـزح سـكّانها إلى لامبسـاك، لأنـه مثلـهم مثـل سـكّان هـذه الأخـيرة، كـانوا مسـتعمرين ميلتوسـيين. لكـنّ الشّـاعر يـدعو مكـان إقـامتهم بطـريقتين: تـارة بإضافة المقطع الأوّل:

وسائر أنحاء أبيسوس

(الإلياذا II، 828)

وتارة أخرى من غيره:

... الذي في وسط بيسوس عاش،

مالك الثروات

(الإلياذا V، 612)

وهذا هو اسم النهر الآن. إن كولونا الواقعة فوق لامبساك في أعماق منطقة اللامبساكيين، هي مستعمرة للميلتوسيين؛ وثمّة كولونا أخرى خارج بحر الهليسبونت، على بعد 140 مرحلة من إيليون. ويقال إن كيكنوس يتحدّر من هناك. ويقول أناكسيمين، إن مناطق في إريتريا، وثوكيدا، وتساليا تدعى كولونا أيضاً، وفي منطقة باري توجد إيليوكولونا. ويوجد في منطقة لامبساك مكان يدعى هيرغيثوس غني بكروم العنب؛ وكانت توجد هناك من قبل مدينة تدعى هيرغيث، التي أخذت اسمها هذا عن هيرغيثا التي تقع في منطقة كيما، فهناك أيضاً كانت ثمّة مدينة تدعى هيرغيثا (بصيغة جمع المؤنث)، وهي مسقط رأس كيثالون الهيرغيثي؛ وحتى يومنا هذا يدلّون في منطقة كيما قرب لاريسّا، على مكان يدعى هيرغيثوس. ومن باري خرج نيوبتوليموس الذي لقّب غلوسّوغراف وهو من الذين يستحقون أن يشار إليهم؛ وإلى لامبساك ينتمي كارون المؤرّخ، وأديمانس، وأناكسيمين اللغوي وعالم الأرصاد، تلميذ إيبيقور؛ وحتى إبيقور نفسه بمعنى ما كان من لامبساك لأنه أقام فيها زمناً طويلاً وكانت له علاقات وطيدة مع أشهر رجال هذه المدينة مثل إيدمينييوس، وليونتيوس وأنصارهما. ومن هناك حمل أغريبا منحوتة ليسيبوس «الأسد الصريع» ووضعها في الحديقة بين البحيرة(25) ويفريبوس.

20- وبعد لامبساك تأتي أبيدوس وأماكن فاصلة يقول عنها الشاعر، إذ يجمع منطقة لامبساك مع شطر من أرض باري (لكنّ هاتين المدينتين لم يكن لهما وجود في زمن حرب طروادا):

الرجال الذين يعيشون في بيركوتا، ويقطنون كلّ مكان من براكتيون

ومدن سيستوس، وأبيدوس ومواطنو أريسبا المقدّسة

الذين نظّم جحافلهم آسيوس سيّد هيرتاكيدس،

... الذي خفّ إلى طروادا من أريسبا النائية، من

مياه سيللينس، على صهوات جياد نارية عظيمة.

(الإلياذا II، 835)

ويبدو أنّ الشّاعر يدعو أريسبا (التي يقول إنّ آسيوس جاء منها) بهذه الكلمات، مقرّ آسيوس الملكي:

... على جياد ... خفّ من أريسبا النائية،

... من مياه سيللييىنس.

(الإلياذا II، 838)

ولكـنّ هـذه الأمـاكن[26] مجهولـة إلى درجـة أنّ العلمـاء البـاحثين يختلفـون في آرائهم عنها، ما عدا كونها تقع على مقربة من أبيدوس، ولامبساك، وباري، وكون بيركوتا القديمة بدّلت اسمها.

21- وفيما يخصّ الأنهار يقول الشاعر، إنّ سيللييىنس يجري قرب أريسبا، هذا إذا كان آسيوس قد جاء «من أريسبا ومن مياه سيللييىنس». لكنّ نهر براكتيوس موجود فعلاً، بيد أنه لا وجود لمدينة بهذا الاسم، كما زعم بعضهم. وهذا النهر يجري بين أبيدوس ولامبساك. وعلى هذا النحو ينبغي أن نفهم قوله:

... ويقطنون كلّ مكان من براكتيون

(الإلياذا II، 835)

بأنه يتعلّق بالنهر، كأقواله الأخرى:

على طول كيفيس، النهر المقدّس، سكنوا

(الإلياذا II، 522)

و

حول نهر بارثينوس امتلكوا الأملاك الغرّاء

(الإلياذا II، 854)

وفي ليسبوس مدينة أريسبا التي كان سكّان ميفيمنا يملكون أرضها. وهناك نهر أريسب في تراقيا أيضاً، كما كنت قد أشرت[27]، وعلى مقربة منه يقطن الكيبرينيون التراقيون. وعلى وجه العموم يمكن العثور على كثير من الأسماء المشتركة عند التراقيين والطروادين: مثلاً، تراقيو سكيوس، ونهر سكيوس، وسور سكيوس؛ وعند طروادا بوابات سكيوس؛ وتراقيو كسانثيا، ونهر كسانثوس في طروادا؛ ونهر إريسب الذي يصبّ في جيبر، ومدينة أريسبا في طروادا؛

ونهـر ريسـوس في طـروادا، وريسـوس ملـك تراقيـا. وثمّـة عنـد هـوميروس آسـيوس آخـر أيضاً، سمّي المذكور هنا:

آسيوس الشجاع، مروّض الجياد، خال هيكتور؛

شقيق هيكابي، الابن المقدام لديمانس،

الذي يعيش في الأرض الفريجية الخصبة، عند مياه سانغاروس.

(*الإلياذا* XVI، 717)

22- لقد أسّس الميلتوسيون أبيدوس بإذن من الملك الليدي هيجيس، لأنّ هذا المكان كان تحت سلطته كما طروادا كلّها؛ وحتى يومنا هذا لا تزال الرأس البحرية الواقعة قرب داردان تحمل اسم هيجاس. وتقع المدينة على ثغر البروبونتيدا والهليسبونت على مسافة واحدة من لامبساك وإيليون، 170 مرحلة تقريباً. ويقع هنا مضيق[28] عرضه سبع مراحل يفصل بين آسيا وأوروبا، وكان كسيراكس قد بنى عليه جسراً. ويدعى طرف أوروبا الذي يشكّل مضيقاً ضيّقاً عند الفاصل كرسونيس[29] تبعاً لهيأته. ويقع مكان الفاصل قبالة أبيدوس. وتعدّ سيستوس أفضل مدن كرسونيس. وبسبب مجاورتها لأبيدوس خضعت هذه المدينة للحاكم عينه، لأنّ الأملاك في تلك الأزمنة لم تكن قد تحدّدت بعد بحسب القارّات. ومع أنّ أبيدوس وسيستوس لا تبعد واحدتهما عن الأخرى أكثر من 30 مرحلة، من الميناء إلى الميناء، إلاّ أنّ اتّجاه الجسر على المضيق يميل قليلاً عن المدينتين، وتحديداً عن أبيدوس نحو البروبونتيدا، وعن سيستوس بالاتجاه المقابل. ويدعى المكان القريب من سيستوس، الذي مدّوا الجسر إليه، أبوباثرا[30]. وتقع سيستوس أبعد من ذلك، في عمق البلاد نحو البروبونتيدا، إلى الأعلى من النهر الذي ينبع منها. ولذلك فإن العبور من سيستوس أسهل، إذ تبحر مسافة قصيرة نحو برج هيرو، ومن هناك تطلق السفن بسهولة لتعبر، لأنّ التيار يساعد على العبور. أمّا الذين يعبرون من أبيدوس، فإنهم على العكس من هذا، إذ ينبغي عليهم أن يبحروا قبل ذلك مسافة 8 مراحل بالاتجاه المقابل نحو البرج المقابل لسيستوس، ومن ثمّ يعبرون منحرفين على خطّ ليس معاكساً للتيار تمام المعاكسة. وبعد حرب طروادا أقام التراقيون في أبيدوس، ثمّ الميلتوسيوس. وعندما أمر داريوس والد كسيراكس بإحراق المدن، خاصة مدن البروبونتيدا قاسمت أبيدوس المدن المعنية مصيرها المحزن. فلدى عودته من حملته ضدّ السكيثيين، أمر داريوس بأن تحرق المدن بعد أنّ علم أن الرحّل

يستعدّون لعبور المضيق والإغارة عليه لكي يثأروا منه بسبب النوائب التي أنزلها بهم؛ فقد خشي من أنّ تمدّ هذه المدن السكيثيين بالسفن لكي يعبروا المضيق. وعلاوة على التغيّرات الأخرى وتأثيرات التغيرات، شكل هذا أيضاً سبباً للإرباك في طبغرافيا هذه الأماكن. وأنا كنت قد تحدّثت عن سيستوس وكرسونيس كلّها أثناء وصفي للمناطق التراقية[31]. وينقل ثيوبومبوس أن سيستوس ليست مدينة كبيرة، لكنّها محصّنة جيّداً، وتتّصل بالميناء بسور امتداده بليفران، ولذلك، وبسبب التيار أيضاً فهي تتحكّم بالمعبر.

23- وإلى الأعلى من منطقة الأبيدوسيين في طروادا، تقع أستيرا. وهذه المدينة المدمّرة الآن هي للأبيدوسيين؛ وقد كانت في الأزمنة السابقة مدينة مستقلّة تملك ترسبات ذهبية، لكنّها شحّت الآن ونضبت مثلها مثل ترسّبات جبل تمولوس عند نهر باكتول. ويرون أنّ المسافة من أبيدوس إلى إيسيب تقارب 700 مرحلة، لكنّها أقلّ على خطّ بحري مباشر.

24- وتقع وراء أبيدوس منطقة إيليون، وساحل البحر حتّى ليكتوس، وأماكن في سهل طروادا، ومنحدرات على جبل إيدّا خاضعة لسلطة إينياس. ويدعو الشّاعر هذه المناطق بتسميتين؛ فمرّة يقول:

... الداردانيون الذين قادهم ابن الأنخيسيين الماجد،

(الإلياذا II، 819)

داعياً السكّان «داردانيين»؛ ومرّة أخرى «درداني»:

أبناء طروادا والليكيون، وأنتم الدارداني المصارعون...

من الواضح أنّ الشّاعر يذكر داردانيا التي كانت قديماً هنا:

زيوس حامل الرعد، أنجب جدّنا داردانوس،

إنه هو الذي أسّس داردانيا

(الإلياذا XX، 215)

ولم يبق هناك الآن أيّ أثر من المدينة.

25- بحسب زعم أفلاطون[32] أن ثلاثة أشكال من العيش الحضاري ظهرت بعد الطوفان: الأوّل على قمم الجبال، وهو بدائي متوحّش، لأنّ الناس كانت لا تزال تخاف الماء الذي كان لا يزال على سطح السهول؛ وتطوّر الثاني على منحدرات الجبال

إذ بات الناس أكثر جرأة بعد أن بدأت المياه التي تغمر السهول تجفّ؛ ونشأ الشكل الثالث في السهول. ولعلّنا نستطيع أن نتحدّث على نحو مماثل عن شكل رابع وخامس، بل أكثر من ذلك؛ فشكل الحضارة الأخير ظهر على السواحل البحرية، وعلى الجزر، بعد أن تخلّص الناس نهائياً من مثل هذا الخوف. والحقيقة أن درجة أكبر أو أقلّ، من العزم على الاقتراب من البحر، يبدو أنها ترغم على افتراض بعض التباينات في درجات التحضّر والطبائع أيضاً، ومثلها أيضاً في الإقدام والتوحّش اللذين يشكّلان إلى حدّ ما لحظة الانتقال إلى الدرجة الثانية من العيش المتحضّر. ولكنّ هذه الدرجة تعرف أيضاً تباينات بين المتوحّشين وأشباه المتوحّشين، والمتحضّرين. وابتداء من هؤلاء الأخيرين ينتهي التغيّر التدرّجي للتسميات بالتحوّل إلى الطبائع المدينية والرقيقة المتأنّقة بما يتوافق وتبدّل الطبائع نحو الأحسن تبعاً لتغيير مكان الإقامة ونمط العيش. وهذه التبدّلات هي التي يتوقّعها الشّاعر، بحسب قول أفلاطون[33]، عندما يسوق نمط عيش السيكلوب مثالاً على المستوى الأوّل من الحضارة، فقد كان هؤلاء يقتاتون على الثمار البرية ويقيمون في الكهوف فوق قمم الجبال:

... الأرض هناك
خصبة سخية، من غير حراثة وبذار تعطيهم
كلّ شيء...
وليس بينهم اجتماعات شعبية، ولا مجالس مشتركة
في كهوف مظلمة، أو فوق القمم الجبلية الشاهقة
يعيشون أحراراً؛ كلّ يسود على زوجته وأولاده
بلا حسيب ولا رقيب

(*الأوذيسا* IX، 109، 112-114)

ومثال الشّاعر على المستوى الثاني، هو نمط العيش في زمن داردانوس:

هو الذي أسّس داردانيا؛ ولم تكن إيليون الشهيرة
هذه قد قامت بعد كملتقى بين الشعوب.
كانوا لا يزالون يقيمون على منحدرات إيدّا الغزيرة المياه.

(*الإلياذا* XX، 216)

ويعدّ نمط العيش في السهول زمن إيلوس[34] نموذج المستوى الثالث؛ فإيلوس هو بحسب الرواية مؤسّس إيليون، التي أخذت اسمها من اسمه. وقد دفنوه في وسط السهل لأنه أوّل من تجرّأ وبنى قرية في السهول:

لقد تفرّقوا حشوداً، وعلى مقربة من قبر إيلوس

الدارداني القديم في وسط الأرض السهلية، عند

شجرة التين البرّية فرّوا هاربين.

(الإلياذا XI، 166)

ولكن حتّى إيلوس لم يجرؤ تماماً بعد على هذا؛ فهو لم يؤسس للمدينة في المكان الذي تقع فيه الآن، بل إلى الأعلى بما يقارب 30 مرحلة نحو الشرق ونحو جبل إيدّا وداردانيا، في المكان الذي يدعى الآن «قرية الإيليونيين». وكان الإيليونيون المعاصرون الذين دفعهم حبّ الرفعة قد رغبوا في أن تكون قريتهم هي إيليون القديمة، وهذا ما نبّه العلماء الذين يبنون رؤاهم على شعر هوميروس إلى دراسة هذه المسألة؛ لأنه من الواضح أن هذا المكان ليس إيليون الهوميروسية البتّة. وأوضح علماء آخرون استناداً إلى البحث والتقصّي، أنّ المدينة بدّلت موقعها عدّة مرات إلى أن استقرّت أخيراً في المكان الذي تقع فيه الآن، منذ عهد الملك كريز تقريباً. وأنا أرى أنّ حركات النزوح التي كانت تحدث عندئذٍ نحو الأماكن المنخفضة تدلّ أيضاً على درجات متباينة من نمط العيش ومستويات حضارية مختلفة. ولكنّ هذه المسألة ستبحث في وقت آخر.

26- ويقولون، إن مدينة الإيليونيين المعاصرين كانت من قبل قرية فيها معبد لأثينا صغير ولا أهمية له. ولكنْ، عندما جاء الإسكندر إلى هنا بعد النصر الذي حقّقه عند نهر غرانيكوس[35]، زيّن المعبد بتقدمات قدّمها فيه ودعا القرية مدينة، وأمر الذين كان قد عهد إليهم برعاية المدينة أن يعيدوا بناءها ويعلنونها مستقلّة ومعفاة من تأدية الإتاوات؛ وبعد أن دمّر الفرس أرسل إلى هنا رسالة تعاطف وعد فيها ببناء المدينة العظيمة، وجعل معبدها معبداً شهيراً، وتأسيس ألعاب مقدّسة[36] فيها. وبعد وفاة الإسكندر أظهر ليسيماخ عناية خاصة بالمدينة[37]: أعاد بناء المعبد، وأحاط المدينة بسور طوله 40 مرحلة تقريباً، وأسكن فيها سكّان مدن الضواحي القديمة التي كانت قد تهدّمت. وفي ذلك الوقت عهد إليه الاهتمام بالإسكندرية أيضاً، والحقيقة أن أنتيغون هو الذي كان قد أسّس هذه المدينة ودعاها أنتيغونيا، لكنّها بدّلت اسمها

الآن. فقد رأى ليسيماخ أن الواجب المقدّس لخلفاء الإسكندر يقضي بأن يبنوا مدناً تحمل اسمه أوّلاً، ثمّ بعد ذلك مدناً تحمل أسماءهم هم . وقد بقيت الإسكندرية فعلاً واتسعت وازدهرت، وهي تضمّ الآن مستعمرة رومانية وتعدّ واحدة من أبهى مدن العالم.

27- لقد كانت إيليون المعاصرة بدورها بنية ما تشبه المدينة- القرية عندما دخل الرومان آسيا لأوّل مرّة وطردوا أنطوخ الكبير من المناطق التي على هذا الجانب من طوروس. وعلى وجه العموم فإن ديميتري السكيبسيسي الذي زار هذه المدينة حينئذٍ وكان لا يزال في سنّ المراهقة، وجد منازلها مهملة وليس لها حتّى سقوف قرميدية. وبحسب هيجيسياناكس إنّ الغلاطين الذين نزحوا من أوروبا، جاؤوا إلى المدينة وهم في حاجة إلى مكان حصين، ولذلك تركوا المدينة من فورهم لأنها لم تكن تتوفّر على أيّ تحصينات. ولكنّ المدينة عرفت فيما بعد عملية إعادة بناء واسعة. وبعد ذلك دمّرها الرومان الذين كان ثيمبريا يقود قواتهم، فقد حاصر هذا المدينة واستولى عليها في أثناء الحرب ضدّ ميتريدات. وكان ثيمبريا قد أُرسل إلى هنا بصفته قاضياً لدى القنصل فاليريوس فلاكوس الذي عيّن قائداً للقوات في الحرب على ميتريدات(38). لكنّ ثيمبريا أعلن العصيان، فقتل القنصل في بيثينا وتولّى قيادة القوات بنفسه، ثمّ تحرّك إلى إيليون؛ ولمّا رفض سكّان إيليون قبوله لأنّه متمرّد، لجأ إلى استخدام القوّة واستولى على المدينة بعد أحد عشر يوماً. وعندما أخذ يتباهى بأنه استولى في أحد عشر يوماً على المدينة التي لم يستطع آغاممنون أن يأخذها إلاّ في العام العاشر، ومعه ألف سفينة واليونان كلّها شاركت معه في حملته، لاحظ أحد سكّان إيليون قائلاً: «نعم، هذا صحيح، لأنه لم يكن لدينا مدافع صنديد كهيكتور». وبعد ذلك هاجم سولاّ ثيمبريا ودمّره؛ وعقد مع ميتريدات اتفاقاً وأطلقه إلى بلاده، وهدّأ من روع الإيليونيين بتقديم مساعدة كبيرة لهم في إعادة بناء مدينتهم. ولكنّ قيصر الإلهي أظهر في وقتنا الراهن عناية أعظم بهم، محاكياً في هذا عناية الإسكندر. ولكنّ الإسكندر كان يرمي من وراء الاهتمام البالغ بالإيليونيين إعادة وصل صلة النسب القديمة معهم، فقد كان الرجل من أتباع هوميروس. وعلى وجه العموم فإن بعضهم يتحدّث عن تعديل في نصّ ملحمتي هوميروس ورد في صيغتهما التي تدعى «صيغة السفط»؛ فالإسكندر ومعه كاليسفين وأناكسارخوس أعادوا النظر في نصّي الملحمتين، وأضافوا بعض الملاحظات على جزء منهما، ثمّ وضعوا النسخة في سفط مطعّم بالحجارة الكريمة كان قد عثر عليه بين كنوز الخزنة الفارسية. وعلى هذا النحو يكون الإسكندر قد

أظهـر تعاطفـاً نحـو الإيليـونيين بسـبب إعجابـه بهـوميروس، وبسـبب صـلة النسـب مـع الإياكسـيين ملـوك المولوسـيين، حيـث تقـول الروايـات، إن أنـدروماخي زوجـة هيكتـور كانت ملكة هناك. أمّا فيما يخـصّ قيصـر فإنـه لم يكـن معجبـاً بالإسـكندر وحسـب إنما كان يتوفّر أيضـاً علـى قـرائن أكثـر واقعيـة تـدّل علـى صـلة نسـبه مـع الإيليـونيين، لذلك اندفع بكل حيوية الشباب لمدّ يد العون لهم. وكانت هذه القـرائن أكثـر واقعيـة، أوّلاً لأنه كان رومانياً، وقـد عـدّ الرومـان إينيـاس جـدّهم الأوّل، ثانيـاً لأنّ اسـم يوليـوس اشتقّ من يولس، وهو أحد أحفاد إينياس؛ وقد أخذ الأخير لقبه مـن يـولس، أحـد أحفـاد إينياس. ولذلك أعطـاهم قيصـر الأرض وأبقـى لهـم حـرّيتهم وأعفـاهم مـن تأديـة الإتـاوات للدولة؛ ولا يزالون يتمتّعون بهـذه الامتيـازات حتّـى يومنـا هـذا. ولكـنّ إيليـون القديمـة لم تكـن قائمة في هذا المكـان، وهـذا مـا يمكـن أن نتبيّنـه إذا مـا درسـنا هـذه المسـألة وفـق معطيـات هـوميروس. بيـد أنـه ينبغـي أوّلاً أن نعطـي وصـفاً عامّـاً لهـذا المكـان ابتـداء مـن النقطة الساحلية التي توقّفت عندها.

28- وبعد أبيـدوس تـأتي رأس داردانـوس البحريـة الـتي أتيـت علـى ذكرهـا منـذ قليل[39]، ثمّ مدينة داردان الواقعة على بعد 70 مرحلة عن أبيدوس. وبين هاتين النقطتين يصبّ نهر روديوس في البحر، وتقع قبالته في كرسونيس رأس كينوس- سيما البحريـة الـتي تقـول الروايـة إنهـا قـبر هيكـابي. وكـان بعضـهم قـد زعـم أن روديـوس يصـبّ في إيسيب. وهذا النهر بدوره واحد من الأنهار التي ذكرها الشاعر:

ريسوس، وكاريسوس، ورودیوس

ذو الأمواج السريعة.

(*الإلياذا* XII، 20)

وتعدّ دارادان مستوطنة قديمة، لكنّها مهملة إلى درجة أنّ الملوك غالباً ما كانوا يهجّـرون سـكّانها تـارة إلى أبيـدوس، ثـمّ يعيـدونهم تـارة أخـرى إلى مكـان سـكناهم القـديم. وهنـا التقـى القائـد الرومـاني كورنيلـوس سـولاّ مـع ميتريـدات الملقّـب إيفبـاتور، واتّفقا على إيقاف الحرب.

29- وتقع على مقربة من هنا مدينة أوفرينوس التي يرى فيها من الجهات كلّها المكان الذي يقع فيه دغل هيكتور. ثمّ تقع بعد ذلك بحيرة بتيلييوس.

30- وتأتي بعد ذلك مدينة ريتوس الواقعة على تلّ، يليها ساحل بحـريّ منخفض

مجاور لها يقع عليه قبر إيانثوس ومعبده الذي يقوم فيه تمثاله؛ وقد سرق أنطونيو التمثال وحمله معه إلى مصر، لكنّ قيصر أعاده إلى الريتيين، كما أعاد تماثيل أخرى إلى أصحابها أيضاً. فأنطونيو كان قد سرق أروع التقدمات من أشهر المعابد وقدّمها إلى المصرية[40]، أمّا قيصر فقد أعادها إلى آلهتها.

31- وتقع بعد ريتوس مدينة سيغييوس المهدّمة، ومحطة شراعية، وميناء الآخيين، ومعسكر الآخيين، وستوماليمنا[41]، ومصبّ سكاماندرس. وبعد أن يلتقي سيمويس وسكاماندرس في السهل، يحملان معهما كمّيات مهولة من الطمي يسدّان بها الساحل ويشكّلان «مصبّاً أعمى»، وأهواراً. وقبالة رأس سيغييوس البحرية في كرسونيس يقع بروتيسيليوس وإيليوسا[42]، اللذان كنت قد تحدّثت عنهما لدى وصف تراقيا[43].

32- ويبلغ طول هذا الساحل بخطّ بحري مباشر من ريتوس إلى سيغييوس وتمثال أخيليس 60 مرحلة. ويمتدّ الساحل كلّه تحت إيليون: من المدينة المعاصرة عند ميناء الآخيين على مسافة تقارب 12 مرحلة، ومن المدينة القديمة التي تقع على بعد 30 مرحلة إلى الأعلى في داخل البلاد نحو جبل إيدّا. ويقع عند سيغييوس معبد أخيليس وتمثاله، وكذلك تمثال باتروكليس وأنتيلوخوس. ويقدّم الإيلونيون لهؤلاء الأبطال كلّهم، وكذلك لايانثوس ذبائح. ولكنّهم لا يكرّمون هرقل بسبب أعمال التخريب التي أتى بها. ومع أنّ هرقل دمّر المدينة، إلاّ أنه أبقى عليها مدينة للدمار النهائي الذي سيأتي. ولذلك يقول هوميروس:

دمّر مدينة إيليون، وترك أنين الأرامل فيها.

(*الإلياذا* V، 642)

ولا يعني «الترمّل» هنا سوى النقص في عدد الرجال، وليس إبادتهم تماماً. ولكنّ الأبطال الذين يرى الإيليونيون أنهم يستحقون التقدمات التي تقدّم للأبطال، ويكرّمونهم كآلهة، كانوا قد خرّبوا المدينة تماماً. ولعلّه كان يمكن للإيليونيين أن يبرروا ازدواجية موقفهم هذه بقولهم، إنّ هؤلاء الأبطال خاضوا حرباً عادلة، أمّا حرب هرقل فكانت عدوانية هدفها «انتزاع الجياد من لاوميدون»[44]. مع ذلك يدفعون ضدّ هذا بأسطورة أخرى: لم يخض هرقل الحرب من أجل الجياد، بل طمعاً بالمكافأة التي وعد بها لقاء تحرير هيسيونا وقتل الوحش[45]. ولكنْ لنترك هذه التبريرات كلّها فهي تتحوّل إلى دحض للأساطير. فقد يكون بعض الأسس الأكثر يقينية التي جعلت

الإيليـونيين يكـرّمـون بعـض الأبطـال ولا يكـرّمـون بعضـهم الآخـر مجهـولاً لنـا. ولكـنّ الشّاعر يقدّم المدينة في روايته قصة هرقل مدينة لا أهمّية لها، إذا كان صحيحاً أنّ

لقد دمّر مدينة إيليون وليس معه سوى ست

سفن وثلّة قليلة من المقاتليين...

(الإلياذا V، 641)

ويتّضح من هذه القصّة أن بريام تحوّل من حاكم صغير إلى ملك عظيم، كما كنت قد قلت من قبل[46]. وإذا تقدّمت قليلاً من هذا الساحل إلى الأمام، فستأتي إلى آخيون حيث بداية شطر من البرّ العائد لتينيدوس.

33- هـذه هـي الأمـاكن السـاحلية؛ وإلى الأعلـى منهـا يقـع سـهل طـروادا الـذي ينبسـط علـى امتـداد مراحـل كثيرة داخـل الـبلاد نحـو الشـرق، وإلى الأعلـى حتّـى إيدّا. وقسـم السـهل السـفحي أرض ضيّقة تمتـدّ نحـو الجنـوب حتّـى منطقـة سـكيبسـيس مـن جهة، ونحو الشمال وصولاً إلى الليكيين الزيليين من جهة أخرى. ويصف الشّاعر هذا السـهل بأنـه تحـت سـلطة إينيـاس وأبنـاء أنتينـور، ويـدعوه داردانيـا. وإلى الأدنـى منـه وبموازاتـه تقريبـاً تقـع كيبرينيـا الـتي الشـطر الأكـبر منهـا سـهلي. وفي زمـن مـا كانـت هناك مدينة تدعى كيبرينا[47]. ويرى ديميتري أن منطقة إيليون التابعة لسلطة هيكتور كانت تمتدّ في عمق البلاد من المحطة الشراعية وصولاً إلى كيبرينيا؛ لأنـه يقـول إنهـم يدلّونك هناك على قبر الإسكندر[48] وإينونا، التي يروى أنها كانت زوجة الإسكندر قبل أن يخطف يلينا. وبحسب ديميتري أن الشّاعر يذكر

... كيبريون الحوذي،

ابن بريام غير الشرعي،

(الإلياذا XVI، 738)

الذي دعي باسمه هذا تيمناً باسم المكان، وعلى الأرجح باسم المدينة. أمّا كيبيرينيا فهـي تمتـدّ حتّـى منطقـة سـكيبسـيس، ويشـكّل الحـدود سـكاماندرس الـذي يجـري بينهما. وكان ثمّة عداوة دائمة بين سكّان كيبرينا والسكيبسيسيين أفضت في آخر المطاف إلى حرب استمرّت إلى أن أسكنهم أنتيغون معاً في أنتيغونيا ذلك الزمن، التي تـدعى اليـوم الإسـكندرية. وبقـي الكيبريـون مـع الآخـرين في الإسـكندرية، أمّـا السكيبسيسيون فقد أذن لهم ليسيماخ بالعودة إلى وطنهم.

34- ويقول ديميتري، إنّ ذيلين يمتدّان من سلسلة جبال إيدّا في هذه المنطقة إلى البحر: يتّجه أحدهما مباشرة إلى ريتوس، والآخر مباشرة إلى سيغييوس ليشكّلا معاً نصف دائرة ثمّ يتلاشيان في السهل على مسافة واحدة من البحر مثلهما مثل إيليون المعاصرة؛ فهذه الأخيرة تقع تحديداً على أطراف الذيلين المذكورين، أمّا المستوطنة القديمة فهي تقع بين بدايتيهما. ويشمل المدى الداخلي الممتدّ بين الذيلين، سهل سيمويس الذي يجري عبره نهر سيمويس، وسهل سكاماندرس الذي يرويه نهر سكاماندرس. وهذا السهل الأخير هو الذي يُدعى سهل طروادا، وفيه دار لدى الشّاعر العدد الأكبر من المعارك، لأنه شاسع أكثر؛ فنحن نرى هنا الأماكن التي يذكرها الشاعر: شجرة التين(49)، وقبر إيسيتوس(50)، وباتييا(51)، وشاهدة قبر إيلوس(52). ويلتقي نهرا سكاماندرس وسيمويس (يقترب الأوّل منهما من سيغييوس، والثاني من ريتوس) في نقطة غير بعيدة أمام إيليون المعاصرة؛ ثمّ يصبّان في البحر نحو سيغييوس، مشكّلين ما يدعى ستوماليمنا(53). وثمّة سلسلة كبيرة تفصل السهلين المذكورين بعضهما عن بعض وتمتدّ مباشرة بين الذيلين المذكورين ابتداء من إيليون المعاصرة التي تتّصل السلسلة بها. وتمتدّ هذه السلسلة حتّى كيبرينيا، وتشكّل مع الذيلين من الجانبين حرف Є.

35- وإلى الأعلى قليلاً من هذا المكان تقع مستوطنة الإيليونيين، حيث يفترضون أنّ إيليون القديمة كانت تقوم هنا على بعد 30 مرحلة من المدينة الحالية. وفوق مستوطنة الإيليونيين بعشر مراحل يعلو كالليكولونا، وهو مرتفع يشبه التلّ، وعلى بعد 5 مراحل منه يجري نهر سيمويس. وعلى هذا النحو يغدو من السهل فهم ما قيل عن أريس:

وصرخ أريس ذو الدرع النحاسية، كأنه إعصار مريع،
يحثّ الطرواديين جهاراً، من علياء إيليون تارة،
وتارة أخرى وهو يتراكض عند مياه سيمويس عبر كالليكولونا.

(*الإلياذا* XX، 51)

وبما أنّ رحى المعركة دارت في سهل سكاماندرس، فمن المؤكد أن أريس كان يوجه نداءاته إلى الطرواديين إمّا من على الأكروبوليس، أو من مواقع ما قريبة من سيمويس وكالليكولونا، حتّى المكان الذي كانت تدور فيه العمليات القتالية.

وبمـا أنّ كالليكولونـا تقـع علـى بعـد 40 مرحلـة مـن إيليـون الحاليـة، فمـا الـذي جعـل الشّاعر يختار أماكن على مسافة لم يبلغها انتشار القوات في أرض المعركة؟ فقوله:

عند ثيمبرا يقف الليكيون ...

(الإلياذا X، 430)

يتلاءم أكثـر مـع المسـتوطنة القديمـة، لأنّ سـهل ثيمـبرا أقـرب، وعلـى النحـو عينـه نهـر ثيمبروس الذي يجري عبره ويصبّ في سكاماندرس عند معبد أبوللون الثيمبري؛ ولكنّ ثيمبرا يقع على بعـد 50 مرحلـة مـن إيليـون الحاليـة. وكـذلك «شـجرة الـتين»: مكـان مـا صخري تنمو فيه أشجار التين البرّية يقـع عنـد سـفح المسـتوطنة القديمـة، ولـذلك كـان بإمكان أندروماخي أن تقول:

ضع مقاتلينا عند «شجرة التين»: المدينة هناك خاصة

متاحة للأعداء، والصعود إلى الحصن ملائم.

(الإلياذا VI، 433)

ولكـنّ «شـجرة الـتين» بعيـدة جـدّاً عـن المدينـة المعاصـرة. وإلى الأدنـى قلـيلاً مـن «شجرة التين» يقع «بوك» الذي يقول عنه أخيليس:

... بينما كنت بين الآرغوسيين معتكفاً

لم يجرؤ هيكتور أن يبدأ القتال بعيداً عن الأسوار.

لم يقترب إلاّ من البوابات السكييسية وبوك ...

(الإلياذا IX، 352)

36- بيد أنّ المحطة الشراعية (لا تزال تدعى بهذا الاسم حتّى اليوم) تقع قريباً مـن المدينـة الحاليـة إلى درجـة يبـدو طبيعيـاً عنـدها أن تـثير حماقـة الإغريـق وتخـاذل الطرواديين الدهشة، حماقة الإغريق لأنهم تركوا المحطة الشراعية هذا الوقت الطويل كلّه من غير تحصين عندما كانوا على مقربـة مـن المدينـة ومـن هـذه الأعـداد الكـثيرة من الأعداء في داخل المدينة نفسها، وحلفـائهم الـذين يحيطـون بهـم. فالشّـاعر يقـول، إن السـور لم يـبن إلاّ منـذ بعـض الوقـت (أو أنـه لم يـبن أصـلاً، بـل اختلقـه الشّـاعر لتـوّه ثـمّ دمّره، كما يقول أرسطو)؛ أمّا تخاذل الطرواديين فيثير الاستغراب، لأنهـم لم يهـاجموا إلاّ بعد أن بنيت الأسوار، وعادوا إلى المحطة الشراعية نفسها، وهـاجموا السفن؛ ولكـن قبـل أن يحـاط هـذا المكـان بسـور لم يجـرؤوا علـى التوغّـل إلى هنـاك وضـرب طـوق

الحصـار، مـع أن المسـافة لم تكـن كـبيرة؛ فالمحطـة الشـراعية تقـع عنـد سـيغييوس وبالقرب منها يقع مصبّ سـكاماندرس علـى بعـد 20 مرحلـة مـن إيليـون. ولكـن إذا مـا اعترض أحدهم على أنّ ما يدعى اليوم ميناء الآخيين هي نفسها المحطة الشراعية، فإنـه سيتحدّث عندئذٍ عـن مكـان أقـرب إلى إيليـون بمـا يقـارب 20 مرحلـة، حتّـى إذا ألحقت بهـذا السـهل السـاحلي، لأنّ هـذا السـهل كلّـه تشـكّل مـن الترسـبات النهريـة، خاصـة السهل الساحلي الواقع أمـام المدينـة. وإذا كـان المدى بـين المدينـة والبحـر يبلـغ اليـوم 12 مرحلة، فإنه لم يكن يشكّل في الزمن القـديم سـوى نصـف هـذه المسـافة. وعلـى النحـو نفسه فإن القصة المختلقـة الـتي رواهـا أوديسـيوس لإيفمييـوس، تبـيّن أن المسـافة كـبيرة جدّاً بين المدينة والمحطة الشراعية:

... كما في طروادا، عندما كنّا يوماً تحت الحصار.

(*الأوزيسا* XIV، 469)

ويقول بعد ذلك:

بعيداً جدّاً ابتعدت السفن عنّا.

كما يرسلون الجواسيس أيضاً لكـي يسـتطلعوا إذا كـان الطرواديـون قـد بـاتوا «بعيدين عند السفن»، وتفصل بينهم وبين سورهم مسافة بعيدة،

... أم سيعودون إلى المدينة

مبتعدين عن السفن

(*الإلياذا* X، 209)

ويقول بوليدامانس:

تفكروا بإمعان أيها الأصدقاء؛ أنصحكم أن

تدخلوا المدينة الآن مع مقاتليكم ...

... إننا نقف بعيداً عن الحصن.

(*الإلياذا* XVIII، 254)

ويسـوق ديميـتري شـهادة هيسـتييا الإسـكندرية الـتي كتبـت مؤلّفـاً عـن «إليـاذا» هـوميروس، ودرسـت مسـألة مـا إذا كانـت رحـى الحـرب قـد دارت عنـد مدينـة إيليـون المعاصرة وسهل طروادا الذي يوضّعه الشّاعر بين المدينـة والبحـر؛ فهـي تقـول، إنّ السـهل الذي نراه اليوم أمام المدينة الحالية، شكّلته الترسبات التي حملتها الأنهار مؤخراً.

37- وكذلك بوليتيس،

... الذي

أقام حارساً طروادياً، واثقاً بساقيه السريعتين،

في السهل، على القبر العالي لشيخ الطرواديين إيسيتوس،

(*الإلياذا* II، 792)

كان غبياً؛ فمع أنه أقام «على القبر العالي»، إلاّ أنه كان يستطيع أن يراقب من فوق الأكروبوليس الأكثر علوّاً بكثير من تلّ القبر، ومن على المسافة نفسها تقريباً من غير أن يكون بحاجة إلى سرعة ساقيه ليضمن سلامته؛ فقبر إيسيتوس الذي يدلّونك عليه الآن يقع بعد 5 مراحل على الطريق إلى الإسكندرية. وفي هذه الحالة يغدو جري هيكتور حول المدينة بعيداً عن الواقع، لأنه لا يمكن الالتفاف حول المدينة المعاصرة بسبب متاخمة السلسلة الجبلية لها؛ لكنّ المعبر حول المدينة القديمة كان مفتوحاً.

38- بيد أنه لم يبق من المدينة القديمة أثر. وهذا طبيعي، لأنّ مدن الضواحي كلّها حلّ بها الخراب، مع أنها لم تدمّر كلياً؛ لكنّ هذه المدينة تحديداً هدمت حتّى أساساتها ونقلت حجارتها لتستخدم في إعادة بناء المدن الأخرى. ويروى أنّ أرخياناكس الميتيليني بنى من الحجارة المنقولة من هناك سوراً حول سيغييوس. وقد استولى الأثينيون على هذه المدينة، فأرسلوا إلى هناك ثرينون بطل الألعاب الأوليمبية، مع أنّ الليسبيين حقّقوا سيطرتهم على طروادا كلّها تقريباً. وواقع الحال أنّ أكثر المستوطنات في طروادا أسّسها الليسبييون (بعضهم لا يزال موجوداً حتّى اليوم، والآخرون اندثروا). فأبحر بيتاكوس الميتيليني، وهو واحد ممّن يسمّونهم الحكماء السبعة، على رأس أسطول ضدّ الستراتيج ثريون وحاربه لبعض الوقت، لكنّه أدار القتال إدارة سيّئة فباء بالفشل. ويقول الشّاعر ألكييوس، إنه في ذلك الوقت ألفى نفسه أثناء إحدى المواجهات في وضع صعب، فاضطر إلى رمي سلاحه والفرار من أرض المعركة. فهو يقول لأحد المراسلين طالباً أن يخبر أهل بيته:

ألكييوس نجا، ولكنْ عبثاً علّقوا سلاحه لأرييوس

أتيكا في معبد أثينا عين البومة.

(*المقطع* 32، *بيرغك*)

وفيما بعد عندما طلب ثريون بيتاكوس للمبارزة، حمل هذا الأخير معه شبكة

لصيد الأسماك وهاجم خصمه، فرمى عليه الشبكة وقتله طعناً بالحربة الثلاثية والخنجر. ولكنّ الحرب استمرّت وطالت، فاختار الطرفان بيريياندرس وسيطاً، فوضع هذا حدّاً لها.

39- وعلى حدّ قول ديميتري فإن ما ينقله تيمييوس عن أنّ بيريياندرس بنى من حجارة إيليون حصن أخيللوس ضدّ الأثينيين لكي يساعد قوّات بيتاكوس، غير صحيح، فواقع الأمر على حدّ قوله، هو أنّ الميتيليين هم الذين حصّنوا هذا المكان ضدّ سيغييوس، ولكنْ ليس بهذه الحجارة، بل ولا علاقة لبيريياندرس بالأمر، فكيف كان يمكن اختيار وسيط من بين المشاركين في الحرب؟ إنّ أخيللوس مستوطنة صغيرة فيها شاهدة قبر أخيلليس. وقد دمّر الإيليونيون سيغييوس أيضاً تدميراً تامّاً بسبب عصيانها. ففيما بعد بات الساحل كلّه حتّى داردان تحت سلطتهم، ولا يزال حتّى الآن. أمّا في الزمن القديم فقد امتلك الإيوليون الشطر الأكبر منه، ولذلك يدعو إيثور الساحل كلّه من أبيدوس حتّى كيما باسم إيوليا، من غير أيّ تردد. وبحسب ثوكيديدس أنّ الأثينيين انتزعوا طروادا من الميتيليين أثناء حملة باخيت في أثناء حرب البيلوبونيز[54].

40- ويزعم الإيليونيون المعاصرون أن المدينة لم تدمّر تماماً لدى استيلاء الآخيين عليها، وأنها لم تخلُ من سكّانها في أي وقت من الأوقات. وعلى أيّ حال بعد بعض الوقت من سقوط إيليون، أخذوا يرسلون إلى هناك سنوياً فتيات لوكريات[55]. لكنّ هذا الخبر ليس لهوميروس، لأنّ هوميروس لا يعرف شيئاً عن العنف الذي مورس على كاساندرا، بيد أنه يقول، إنها كانت عندئذٍ فتاة:

قتل أوثرينيوس[56] الكابيسي، الحديث العهد في المدينة،
جذبته مؤخراً إلى طروادا ساحات المجد
وطلب من بريام كاساندرا، أجمل بنات الشيخ،
طلبها بتعال، من غير مهر ...

(*الإلياذا* XIII، 363)

فهو لا يذكر أيّ شيء من عنف ضدّ كاساندرا، ولا عن إيانثوس في كارثة بحرية تسبب بها غضب أثينا، أو أيّ سبب آخر من هذا القبيل. بل على العكس من هذا يقول الشاعر، إنه على الرغم من أن أثينا[57]، كانت تكره إيانثوس كما

الآخـرين كلّهـم (فكلّهـم دنـّس معبـدها ، ولـذلك غضـبت مـنهم جميعـاً)، إلاّ أن الـذي أهلك البطل هـو بوسـيدون، والسـبب هـو تفـاخر أيـانثوس وغطرسـته[58]. ولكـنّ إرسـال الفتيات اللوكريات لم يبدأ لأوّل مرّة إلاّ في ظلّ السيطرة الفارسية.

41- إنّ هـذه هـي روايـة الإيليـونيين. أمّـا هـوميروس فيقـول صـراحة، إنّ المدينـة دمّرت تدميراً كاملاً:

سيأتي يوم تهلك فيه طروادا المقدّسة،

(*الإلياذا* VI، 448)

و

ولكن عندما دمّرنا مدينة بريام العظيم

(*الأوذيسا* III، 150)

بكلمتي ونصيحتي[59]،

و

في الصيف العاشر دمّر مأوى بريام الشيخ.

(*الإلياذا* XII، 15)

كمـا يسـوقون قـرائن أخـرى مـن هـذا النـوع، علـى سـبيل المثـال: يمكـن أن نـرى تمثال أثينا الخشبي الآن واقفـاً باسـتقامة، بينمـا يصـوّرها هـوميروس جالسـة، لأنـه يـأمر أن:

يُلقى بالثوب على ركبتىْ أثينا ذات الشعر الناعم؛

(*الإلياذا* VI، 92، 273)

ومثل هذا قوله:

لن يحمل على ركبتيه ولداً ينجبه هو.

(*الإلياذا* IX، 455)

إنّ هـذا التأويـل أفضـل مـن الـذي سـاقه الآخـرون، وتحديـد تأويلـهم «يُلقـى عنـد الركبتين»؛ وها نحن نسوق قوله الثاني لغرض المقارنة وحسب

تستوي على الموقد في بريق ناريّ

بدلاً من «عند الموقد». فكيف يمكننا أن نتصوّر إذن إلقاء الثوب «عند الركبتين»؟ وإذْ

يغيّر آخرون مكان النبرة [في كلمة gúnasin] إلى gunásin[60] كما في thyiásin[61] (وكائناً ما كان تأويلهم لهذه الكلمة)، فإنهم يمارسون بهذا ثرثرة عبثية، إذ يفهمون هذه الكلمة بمعنى «توسّل» أو [....][62]. وعلى أيّ يعرضون كثيراً من التماثيل الخشبية لأثينا وهي في وضعية الجلوس، كالتماثيل التي في ثوكيا، وماساليا، وروما، وكيوس وبعض الأماكن الأخرى على سبيل المثال. ويتّفق الكتّاب المتأخّرون على أن المدينة دمّرت تدميراً تامّاً، ومن هؤلاء ليكورغوس[63] الذي يلاحظ لدى تذكيره بمدينة الإيليونيين: «من الذي لم يسمع أنّ الإغريق دمّروا في وقت ما مدينة إيليون حتّى أساساتها، فبقيت خاوية؟».

42- ويزعمون أن الذين عزموا بعد ذلك على إعادة تأسيس المدينة، عدّوا هذا المكان ملعوناً، إمّا بسبب البليّة التي نزلت بالمدينة، أو لأنّ آغاممنون لعنها بحسب التقليد القديم (كما فعل كريز لدى استيلائه على سيدينا التي فرّ إليها التيران غلافكوس طلباً للحماية، فقد لعن كريز كلّ من سيحصّن المكان بعد ذلك). وعلى هذا النحو تراجعوا عن هذا المكان وحصّنوا مكاناً آخر. وهكذا كان الأستيباليون الذين كانوا يملكون ريتوس أوّل من سكنوا بولي (تدعى الآن بوليسما) الواقعة على سيمويس، ولكن ليس في مكان محصّن تحصيناً جيّداً، لذلك سرعان ما دمّر. أمّا المستوطنة المعاصرة[64] ومعبدها، فقد تأسّسا في زمن السيطرة الليدية. بيد أنّ هذه لم تكن قد غدت مدينة بعد، ولم تبدأ تتنامى وتتوسّع إلاّ بعد أن مضى زمن طويل، كما كنت قد قلت. ولكي يبعث الفرحة في قلوب الإيليونيين- «وهذا هو نمط تفكيره»- يوافق هيلانيكوس على إدغام المدينة الحديثة بالمدينة القديمة. ولكنْ بعد تدمير المدينة تقاسم حدودها سكّان سيغيبوس وريتوس وبعض القبائل الأخرى المجاورة، لكنّ حدود المدينة استردّت من جديد بعد أن أعيد بناؤها ثانية.

43- وكما يرون، فإنّ إيدّا سميّ «وفير الينابيع» لأنّ كثيراً من الأنهار ينبع منه، خاصة المكان الذي تقع فيه على سفوحه منطقة داردانيا وصولاً إلى سكيبسيس ومنطقة إيليون. وفي بادئ الأمر يقول عنها ديميتري بصفته من سكّان المكان المحلّيين: «إحدى قمم إيدّا تدعى كوتيل. وهي تقع على ما يقارب 120 مرحلة إلى الأعلى من سكيبسيس؛ وينبع منها سكاماندرس، وغرانيكوس، وإيسيب؛ ويجري النهران الأخيران شمالاً وإلى البروبونتيدا بعد أن يتشكّلا من تلاقي عدد من الينابيع، بينما يجري سكاماندرس غرباً، وهو يتشكّل من نبع واحد فقط. وتقع هذه الينابيع كلّها

بعضها قريب من بعض ضمن حيّز لا يتعدّى 20 مرحلة. ومصبّ إيسيب هو الأبعد عن منبعه- تقريباً 500 مرحلة». لكنّ مغزى ما يقوله الشّاعر يحتاج توضيحاً:

وصلا معاً إلى نبعين رقراقين، ينبجسان مندفعين،

سكاماندرس الصاخب، والآخر مياهه دافئة...،

أي «مياهه حارّة»، لكنّ الشّاعر يضيف قائلاً:

... من جوانبه كلّها

يتصاعد البخار دائماً، كما يتصاعد الدخان من بؤرة نار؛

لكنّ النبع الآخر ينحدر في الصيف بارداً كأنه الصقيع،

بارداً كحبّات البرد أو شرائح الثلج...

(الإلياذا XXII، 147)

لكنّك لن تجد اليوم في هذا المكان نبعاً مياهه حارّة، كما لا وجود هنا لنبع سكاماندرس؛ فهو يقع على الجبل وحيداً لا ثاني له. وعلى هذا النحو ربّما يكون النبع الحارّ قد نضب، أمّا البارد فينبثق من سكاماندرس عبر ممرّ جوفيّ ليخرج من جديد إلى السطح في هذا المكان؛ أو أنّ مياه هذا النبع لا تعدّ مصدر سكاماندرس إلاّ لأنها تقع على مقربة منه؛ وعلى هذا النحو يكون للنهر نفسه أكثر من منبع.

44- ويلتقي بسكاماندرس نهر أنديرا الذي يجري من كاريسينا، البلاد الجبلية الكثيرة القرى والمستثمرة جيّداً؛ وهي تقع قرب داردانيا، وتمتدّ حتّى مناطق زيليا وبيتيا. ويقال إن هذه البلاد دعيت باسمها هذا المأخوذ من اسم نهر كاريسوس الذي يأتي الشّاعر على ذكره.

ريسوس، وكاريسوس، وهيبتابوروس،

ذو الأمواج السريعة،

(الإلياذا XII، 20)

أمّا المدينة سميّة النهر فقد دمّرت. ويقول ديميتري في مكان آخر: «إن نهر ريسوس يدعى الآن رييتوس، إذا لم يكن هذا هو ذلك الريسوس الذي يصبّ في غرانيكوس. وهيبتابوروس الذي يحمل أيضاً اسم بوليبوروس، ينبغي عبوره سبع مرّات في الطريق من المكان القريب من الصنوبرة البديعة إلى قرية ميلينا ومعبد أسكليبوس الذي شيّده ليسماخ». ويكتب الملك أتّال الأوّل بخصوص الصنوبرة البديعة قائلاً: «حجم الشجرة

24 قدماً وارتفاع جذعها من الجذور يصل 67 قدماً ثمّ ينقسم الجذع إلى ثلاثة فروع المسافة بينها متساوية، وبعد ذلك تتلاقى الجذوع الثلاثة في قمّة واحدة لتبلغ نهاية ارتفاعها الكلّي في 2 بليفر و15 ذراعاً». ويقع هذا الموقع على بعد 180 مرحلة إلى الشمال من أدراميتوس. ويجري كاريسوس من مالونس، وهو مكان ما يقع بين باليسكيبسيس وآخيون، وهي موقع على البرّ المقابل لجهة التيندوسيين. ويجري روديوس من كلياندريا وغوردس على بعد 60 مرحلة عن الصنوبرة البديعة؛ ويصبّ هذا النهر في إينوس.

45- وفي وادي إيسيب، إلى اليسار من مجراه، تأتي بوليخنا أوّلاً، وهي مكان محصّن بسور، ثمّ تأتي باليسكيبسيس، وبعدها ألازونيا. ولا شك في أن هذا الاسم الأخير هو من بنات أفكار ديميتري لكي يعلّل فرضيته عن الغاليزونيين الذين كنت قد تحدّثت عنهم[68]؛ ويأتي بعد ذلك كاريسوس، وهو مكان قاحل، وكاريسينا والنهر الذي يحمل الاسم عينه[69]، وهو يشكّل بدوره وادياً كبيراً مع أنه أصغر من وادي إيسيب؛ ثمّ تمتدّ بعد ذلك وديان مستثمرة جيّداً، تليها منحدرات زيليا. وعلى يمين إيسيب، بين بوليخنا وباليسكيبسيس تقع نياكوما وأرغيريا[70]؛ وهذا الاسم بدوره من بنات أفكار ديميتري أيضاً، اختلقه ليعلّل به فرضيته عينها ويحافظ على قول الشاعر:

... حيث لا تنضب مناجم الفضّة.

(*الإلياذا* II، 856)

ولكن، أين تقع إلييا أو ألوبا أو أي اسم آخر يدعونها به؟ فإذا كان الناس قد تجرؤوا فيما مضى على الاختلاق فإنه ينبغي عليهم الآن، بعد أنّ يدعك كلّ منهم جبينه[71]، أن يتفكّر في هذا الاسم أيضاً وألاّ يبقي المسألة مفتوحة على شتّى الاحتمالات. وهكذا فإن هذا الذي ينقله ديميتري إلينا يثير مثل هذه الاعتراضات. أمّا في النقاط الأخرى، وفي أقلّ تقدير أكثرها، فإني أفترض أنه ينبغي الأخذ بما ينقله ديميتري بصفته عارفاً بالبلاد، وأحد سكّانها الذين اهتّموا كثيراً بهذه المسائل، فقد وضع فيها 30 كتاباً من التعليقات لكي يشرح أكثر بقليل من 60 بيتاً من شعر هوميروس، خاصة «دليل الطرواديين»[72]. فهو يزعم مثلاً، أنّ باليسكيبسيس تقع على بعد 50 مرحلة من إينييا و30 مرحلة عن نهر إيسيب؛ ومن هذه الباليسكيبسيس انتقلت التسمية عينها إلى بعض الأماكن الأخرى. ولكنْ دعونا نعود إلى المكان الساحلي الذي توقفت عنده.

46- فبعـد رأس سـيغييوس البحريـة وأخيلليس، تـأتي آخيـون، وهـي موقـع علـى البرّ المقابل لجهة التينيدوسيين، ثمّ تينيدوس نفسـها الـتي تقـع علـى مسـافة لا تتجـاوز 40 مرحلة عـن البـرّ. ويبلـغ امتـداد محيـط الجزيـرة حـوالي 80 مرحلـة، وفيهـا مدينـة إيوليـة، وميناءان ومعبد لأبوللون السمينثيسي، كما يقول الشاعر.

... وتفرض سطوتك على تينيدوس،

وسمينثييوس!

(*الإلياذا* I، 38)

وينتشـر حـول تينيـدوس عـدد مـن الجـزر الصـغيرة بمـا فيهـا اثنتـان تحمـلان اسـم كاليـدنا؛ وتقـع هاتـان الجزيرتـان علـى الطريـق إلى ليكتـوس. وحتـى جزيـرة تينيـدوس نفسها كـان بعضهم يدعوها كاليـدنا، وبعضـهم الآخـر لوكـوثريس. وكانـت الجزيـرة هـي المكـان الـذي وقعت فيه أحداث أسطورة تينّوس، ومن هنا جاء اسم الجزيرة، كمـا كانت المكان الذي وقعت فيه أحداث أساطير كيكنوس، والسـلالة التراقيـة، ووالـد تينّوس، وملك كولونا، بحسب بعض الأساطير.

47- لقـد كانـت لاريسـا وكولونـا تتاخمـان فيمـا مضـى حـدود آخيـون، وتشـكلان جزءاً من البرّ يقع مقابل التينيدوسيين؛ ثمّ تـأتي بعـد ذلـك كريسـا المعاصـرة الواقعة على مرتفع صخري فوق البحر، تليها هاماكسيتوس الـتي تقـع تحـت ليكتـوس مباشـرة. وفي الوقـت الـراهن تجـاور الإسـكندرية آخيـون؛ وقـد اتحـدت هـذه المـدن الصغيرة، ومثلها بعض المواقع الحصينة مع الإسكندرية؛ ومن بينهـا كيبرينـا ونيانـدريا؛ ويملـك الإسـكندريون الأرض. وكـان المكـان الـذي تقـع فيـه الإسـكندرية الآن يـدعى سيغييا.

48- ويقـع في هـذه الكريسـا معبـد أبوللـون السيمنثيسـي وشـعار يُظهـر المغـزى الحقيقي لاسم الإلـه[73]: عنـد قـدمي التمثـال تحديـداً يسـتلقي فـأر. والتمثـال مـن أعمـال سـكوباس الباروسـي. وتـرتبط بهـذا المكـان أسـطورة الفئـران أو قصـتها. فقـد تلقّـى التيفكريـون الـذين جـاؤوا إلى هنـا مـن كريـت (أوّل مـن روى روايـتهم، هـو الشـّاعر كـاللينوس، ثـمّ حـذا حـذوه آخـرون كثـر)، نبـوءة تـأمرهم: «أن يسـكنوا هنـاك حيـث تهـاجم مخلوقـات الأرض»؛ وقـد وصـل لهـم هـذا بحسـب الحكايـات، قـرب هاماكسيتوس، فقد خرجت إلى سطح الأرض هنا ليلاً آلاف مؤلّفة من فئران الحقول،

وقضمت الجلود التي كانت تغطي أسلحتهم وأدواتهم؛ فتوقف التيفكريون هناك، ودعوا المكان إيدًا على اسم الجبل الذي في كريت. ويروي هيراقليط البونتي أن الفئران التي كانت تسرح بكثرة حول المعبد، عدّت كائنات مقدّسة، ولذلك نُحت التمثال واقفاً على فأر. وبحسب روايات الكتّاب الآخرين، أن واحداً من التيفكريين وصل إلى هنا من أتيكا، من ديموس الطرواديين، الذين يدعون الآن كسيبيتيونيين، وأنّ أيّ تفكريّ من كريت لم يطأ هذه الأرض قط. وفيما يخصّ صلة القرابة بين الطرواديين وسكّان أتيكا، فإنهم يشيرون كدلالة عليها، إلى أنّ أريختونيوس كان أحد الأسلاف المؤسّسين للقبيلتين. هذا ما نقله الكتّاب المتأخّرون؛ ولكنّ أقوال هوميروس أكثر توافقاً بكثير مع بقايا القرى والمستوطنات التي يعرضونها في سهل طيبة، وفي كريسا التي كانت تقع هناك في زمن ما، وهذا ما سآتي على ذكره عاجلاً. وعلى وجه العموم نحن نلقى اسم «سمينثييوس» في أماكن كثيرة. فعند هاماكسيتوس نفسها، ما عدا سمينثييوس في أماكن كثيرة. فعند هاماكسيتوس نفسها، ما عدا سمينثييوس التي عند المعبد، ثمّة مكانان آخران يحملان هذا الاسم، وتوجد أماكن أخرى بجوار منطقة لاريسا تحملان الاسم نفسه أيضاً. وهناك مكان في منطقة باري يدعى سمينثييوس، وفي رودوس، تحديداً في ليندس، وفي أماكن كثيرة أخرى(74). أمّا اليوم فإن المعبد نفسه يدعى سمينثييوس. وعلى وجه العموم يقع هناك منتحياً قليلاً سهلٌ صغير هو سهل هاليوس، على هذا الجانب من ليكتوس، ومملحة تراغاسيوس قرب هاماكسيتوس، حيث تظهر بلورات الملح بشكل طبيعي عندما تهبّ رياح إيتا. ويعرضون في ليكتوس مذبحاً للآلهة الاثني عشر ويدعونه بناء أغاممنون. وتقع هذه الأماكن على مرآى من إيليون، بما يقارب 200 مرحلة أو أكثر بقليل، ومثلها أيضاً المكان القريب من أبيدوس على الجانب الآخر من المضيق، مع أنّ أبيدوس تقع أقرب بقليل.

49- وما إن نتجاوز ليكتوس حتّى ندنو من أهم مدن الإيوليين والخليج الأدراميتي، حيث يبدو أنّ الشّاعر يوضّع أكثر الليليغيس والكيليكيين الذين ينقسمون إلى فريقين. وتمتدّ هنا منطقة الميتيلينيين الساحلية مع بعض قرى(75) الميثيلينيين الذين يقطنون البرّ. كما يدعى هذا الخليج بالخليج الإيدّي أيضاً؛ فالسلسلة الجبلية التي تمتدّ من ليكتوس إلى إيدًا، تعلو فوق الأجزاء الأمامية من الخليج، حيث يصف الشّاعر أولى قرى الليليغيس.

50- ولكنّ الحديث عن هذا كان قد جرى سابقاً[76]. أمّا الآن فينبغي أن نضيف أنّ الشّاعر يذكر بيداسّا ما، وهي مدينة لليليغيس خاضعة لسلطة ألتيس:

ألتيس الذي يسود على قبيلة الشجعان الليليغيس،

وعلى مدينة بيداس العالية، عند ساتنيونيس

(الإلياذا XXI، 86)

وحتّى يومنا هذا يدلّونك على مكان المدينة الخاوي. ويكتب بعضهم خطأ، «عند سفح ساتنيونيس»[77]، وكأنّ المدينة تقع عند سفح جبل يحمل اسم ساتنيونيس، بيد أنه لا يوجد أيّ جبل هنا يحمل هذا الاسم، إنما الاسم لنهر تقع المدينة عليه؛ والمدينة الآن مهجورة. ويدعو الشّاعر النهر:

طعن ساتنيوس طعنة قاتلة، إذا هاجمه برمح مثقّف،

ساتنيوس بن إينوبس الذي أنجبته الحورية

نييدس لإينوبس، راعي القطعان على ضفاف ساتنيون.

(الإلياذا XIV، 443)

ومرّة أخرى:

كان يسكن ضفاف نهر ساتنيون الرقراق،

في المدينة العالية، بيداس.

(الإلياذا VI، 34)

وقد دعوه فيما بعد ساتنيونيس، بل دعاه بعضهم سافينيونيس، وهذا النهر نهر شتوي كبير، ولم تأت شهرته إلاّ من ذكر الشّاعر له. وتتاخم هذه الأماكن داردانيا وسكيبسيس كأن هذه هي داردانيا أخرى تقع إلى الأسفل.

51- ويمتلك الآسوسيون والغارغاريون الآن كلّ الأراضي حتّى البحر الذي أمام ليسبوس، وتحيط بهذه الأراضي منطقة الأنتاندرين، والكيبرينيين، والنياندريين، والهاماكسيتيين، لأنّ النياندريين يسكنون فوق هاماكسيتوس، وعلى هذا الجانب من ليكتوس أيضاً، لكنّهم لا يظهرون بعد ذلك في داخل البلاد وأقرب إلى إيليون، إلاّ على بعد 130 مرحلة منها. ويقع الليبرينيون إلى الأعلى منهم، وأعلى من هؤلاء يقطن الداردانيون وصولاً حتّى باليسكيبسيس وسكيبسيس نفسها. ويدعو ألكييوس أنتاندرس «مدينة الليليغيس»:

أنتاندرس لأوّل مرّة، مدينة الليليغيس[78]

(مقطع 65. بيرغك)

أمّا ديميتري السكيبسيسي فيوضّح أنتاندرس بين المدن الأخرى المتاخمة لها، بحيث تغدو في منطقة الكيليكيين؛ فحدود الكيليكيين تتاخم حدود الليليغيس، لأنّ الكيليكيين يلامسون المنحدرات الجنوبية لجبل إيدّا أقرب بعض الشيء من الليليغيس. ولكنّ منطقة الكيليكيين بدورها تقع أدنى وتلامس الساحل قرب أدراميتوس[79]، في نقطة أقرب من النقطة التي تلامسه فيها منطقة الليليغيس. فبعد ليكتوس بأربعين مرحلة تأتي نقطة ما تدعى بوليميدس؛ وبعد 80 مرحلة[80] تأتي آسوس، أعلى من البحر بقليل؛ وبعد 140 مرحلة تأتي غارغارا. وتقع غارغارا هذه على رأس بحرية تشكّل الخليج الأدرايتي. فالساحل كلّه من ليكتوس حتّى كانّا يحمل الاسم نفسه، ويُلحق به أيضاً الخليج الإيلايتي. ولا يحمل اسم الخليج الأدرايتي سوى جزئه الذي ينحصر بين الرأس البحرية التي تقع عليها غارغارا والرأس البحرية التي تدعى بيرّا حيث معبد أفروديت. ويبلغ عرض مدخل الخليج من الرأس الأولى إلى الرأس الثانية 120 مرحلة. وتقع في داخل الخليج أنتاندرس وجبل يعلو فوقها يدعى الإسكندرية (يروى أن تحكيم باريس بين الإلهات جرى هناك)، وتقع هناك أيضاً أسبانيا، وهي سوق للخشب الإيدّي، لأنهم يأتون بالأخشاب إلى هنا ليبيعوها لمن يحتاجها. ثمّ تأتي أستيرا، وهي قرية فيها أرض مقدّسة مكرّسة لأرطميس الأستيرية. وعلى مقربة مباشرة من أستيرا تقع أدراميتوس، وهي مدينة يسكنها الأثينيون، وفيها ميناء ومحطة شراعية. وتقع خارج الخليج ورأس بيرّا مدينة كيسفينا المقفرة وميناؤها. وفوق هذه المدينة في داخل البلاد يقع منجم نحاس، وتقع هناك أيضاً بيربيرينا، وتراروس وما شابه من القرى الأخرى. وتقع على الساحل الذي يلي، قرى الميتيلينيين: كوريثانتيس وهيراقليا، وبعدهما أتييا، ثمّ أتارنيوس، وبيتانا، ومصبّ نهر كايك. وتقع هذه المواقع الأخيرة على الخليج الإيلايتي. وتقع على الضفّة الأخرى من النهر مدينة إيلييا وما يتبقّى من الخليج حتّى كانّا. ولكن، لنعد القهقرى ونصف بالتفصيل أماكن بعينها، إذا كان قد سقط سهواً ما يستحقّ الذكر؛ ولنبدأ من سكيبسيس مثلاً.

52- تقع باليسكيبسيس إلى الأعلى من كيبيرينا، في أعلى أجزاء إيدّا، قرب بوليخنا. وكانت هذه تدعى في زمن ما سكيبسيس، ربّما لأنّ هذا المكان ظاهر من

مختلف الجهات[81]، ولكـنّ هـذا لا يصـحّ إلاّ إذا كـان يصـحّ في ذلـك الـزمن اشـتقاق أسماء بربرية من كلمات إغريقية، أو لأسباب أخرى؛ وفيما بعد هجّر سكاماندرس بن هيكتور، وأسكانيوس بن إينياس سكّانها وأسكنوهم على بعد 60 مرحلة نحو الأسفل، في سكيبسيس المعاصرة؛ ويقال إن هاتين السلالتين ملكتا طويلاً في سكيبسيس. وبعد ذلك آلت السلطة إلى طغمة فئوية. وسكن الميلتوسيون بعد ذلك بينهم فباتوا يعيشون تحت حكم ديمقراطي. ومع ذلك بقي أحفاد السلالة الملكية يدعون ملوكاً ويتمتّعون ببعض الحقوق التشريفية. وبعد ذلك هجّر أنتيغون السكيبسيسيين إلى الإسكندرية، لكنّ ليسيماخ حرّرهم فيما بعد وعادوا من جديد إلى ديارهم.

53- ويرى ديميتري السكيبسيسي أنّ سكيبسيس غدت عاصمة إينياس، لأنّ المدينة في الوسط بين منطقة إينياس وليرنيس؛ ثمّ يقول، إن إينياس اضطر للّجوء إلى هنا هرباً من ملاحقة أخيلليس له. وفعلاً يقول أخيلليس:

أم أنك لا تذكر عندما اصطدك وحيداً عند القطيع،
وطاردتك عبر جبال إيدّا، وبأيّ سرعة عدوت أمامي؟
ولم تجرؤ على أن تلتفت إلى الوراء أيها الطريد!
ومن الجبال هربت، واختبأت في أسوار ليرنيس؛
لكني حوّلت هذه المدينة إلى ركام.

(*الإلياذا* XX، 188)

ولكنّ الخرافات المتداولة اليوم عن إينياس لا تتوافق مع ما قلته عن ظروف تأسيس سكيبسيس. فبحسب هذه الخرافات، أنّ إينياس نجا من ويلات الحرب بفضل عدائه لبريام:

... كان ناقماً على بريام دائماً؛
لأنّه الأكثر بسالة، ولم يحظ من الشيخ
بالتكريم الذي يستحقّ،

(*الإلياذا* XIII، 460)

أمّا أبناء أنتينور وأنتينور نفسه، الذين كانوا معه في الحكم، فقد نجوا بفضل حسن الضيافة الذي كان قد استقبل به منيلايوس في بيت أنتينور. ويروي سوفوكليس

فعلاً[82]، إنه لدى تدمير إيليون كان ثمّة رقعة من جلد فهد معلّقة على باب منزل أنتينور علامة على أنه ينبغي عدم مسّ هذا البيت بأذى. وعلى هذا النحو نجا أنتينور وأبناؤه، ووصلوا مع الناجين من الإينيتيين إلى تراقيا، وانتقلوا من هناك إلى جينيتيكا الواقعة على البحر الأدرياتيكي. فجمع إينياس مع والده أنخيس وابنه اسكانيوس عدداً كبيراً من المرافقين وأبحر في البحر. وقد زعم بعض الكتّاب أنه سكن على مقربة من الأوليمب المقدوني، بينما زعم آخرون إنه أسّس مدينة كابي قرب مانتينيا في أركاديا، وأخذ من كابيوس اسم المدينة التي أسّسها؛ وأخيراً يرى فريق ثالث، إنه وصل مع الطروادي إيليموس إلى إيجيستا الصقلية واستولى على مدينتيّ أريكس وليليبيه، ودعا النهرين القريبين من إيجيستا باسم سكاماندرس، وسيمويس. وجاء من هناك إلى لاسيوم حيث استقرّ بعد أن تلقّى أمراً من الموْحى بالبقاء هناك حيث يأكل مائدته. وقد حصل له في بلاد اللاتين قرب لافيني، حيث بسط عدداً كبيراً من أرغفة الخبز على الأرض لأنه لم يكن لديه منضدة، وأكلها مع اللحم الذي عليها. ولكن يبدو أنّ هوميروس يخالف هاتين الروايتين معاً، كما يخالف أيضاً الرواية التي سيقت أعلاه عن مؤسّسي سكيبسيس. فالشّاعر يشير بوضوح إلى أنّ إينياس بقي في طروادا، وبعد هلاك سلالة بريام ورث السلطة الملكية وأورثها لأبناء أبنائه:

سلالة بريام يمقتها كرونيون الرب منذ القدم.

منذ الآن سيملك إيناس على الطرواديين بجبروت،

هو وأبناؤه من أبناء الذين سيولدون من بعد

(*الإلياذا* XX، 306)

وفي هذه الحال حتّى خلفاء سكاماندرس لم يكن باستطاعتهم أن ينجوا. ويفترق هوميروس كثيراً جداً عن المؤلّفين الآخرين الذين يزعمون أنّ إينياس جاب الأرجاء حتّى وصل إيطاليا، بل يرغمونه على أنّ يفارق الحياة هناك. فبعضهم يكتب:

من الآن سيحكم إينياس جميعهم[83] بجبروت،

هو وأبناؤه من أبنائه،

وهم يقصدون بهذا الرومان.

54- وخرج من سكيبسيس فلاسفة سقراطيون: إراستوس، وكوريسكوس، ونيلييوس بن كوريسكوس؛ ولم يكن هذا الأخير مجرّد تلميذ في حلقات أرسطو

وثيوفراسـت وحسـب، إنمـا ورث عـن هـذا الأخـير مكتبتـه الـتي كانـت تحتـوي علـى مجموعة كتب أرسطو. ومن المعروف أن أرسطو أعطى مكتبته لثيوفراست وترك له مدرسته أيضاً. وعلى حدّ علمي أنّ أرسطو كان أوّل من أخذ يجمع الكتب، وهو الذي علّم ملوك مصر تأسيس المكتبات وتصنيفها. وأعطى ثيوفراست المكتبة إلى نيلييوس، فنقلها هذا إلى سكيبسيس وأورثها لورثته الذين كانوا أشخاصاً عاديين، فاحتفظوا بالكتب تحت الأقفال، ولم يولوها العناية الواجبة. ولمّا علموا أنّ الملوك الذين كانت المدينة عندئذٍ تحت حكمهم يبحثون بشغف عن الكتب لتأسيس مكتبة في بيرغاموس، أخفوا المكتبة في حفرة تحت التراب. وبعد ذلك باع أحفادهم أخيراً كتب أرسطو وثيوفراست التي كانت الرطوبة والديدان قد ألحقت بها أذى كبيراً، باعوها لأبيلليكونت التيوسي لقاء مبلغ كبير. أمّا أبيلليكونت فقد كان على أغلب الظنّ هاوياً للكتب أكثر منه محباً للعلم. ولذلك عندما حاول أن يرمم الأماكن التي أتلفتها الديدان، قارن المخطوط بنسخ جديدة عن النص، وأكملها بطريقة خاطئة ثمّ أصدر كتباً مليئة بالأخطاء. وتبيّن أن الفلاسفة المشّائين لم يكن لديهم كتب البتّة بعد ثيوفراست، ما عدا بعض المؤلّفات التي غلب على أكثرها طابع البساطة والاعتياد، ولذلك لم تتوفّر لهم إمكانيات الاشتغال بالفلسفة، فاقتصر عملهم على عرض النصوص العامّة التي غلب عليها طابع البلاغة اللغوية. أمّا ممثلو المشّائية الذين جاؤوا بعدهم، فقد كانوا في وضع أفضل، إذ بات بإمكانهم بعد أن ظهرت هذه الكتب أن يشتغلوا بالفلسفة ويعرضوا رؤى أرسطو، لكنّ كثرة الأخطاء في نصّ أرسطو غالباً ما أرغمهم على أن يصفوا استنتاجاتهم بأنها ممكنة، أو تحتمل الخطأ والصواب. وكانت لروما مساهمة كبيرة في شيوع هذه الحالة. فبعد وفاة أبيلليكونت مباشرة حمل سولاّ مكتبته إلى روما، لأنّ سولاّ كان قد استولى عندئذٍ على أثينا. وعندما وصلت المكتبة إلى روما وقعت بين يديّ اللغوي تيرانيون الذي كان من أتباع فلسفة أرسطو، فقد أجاد هذا تملّق ناظر المكتبة، وهذا ما كان يفعله بعض تجار الكتب أيضاً؛ لقد كان هؤلاء يستخدمون ناسخين كفاءتهم ضعيفة، ولم يكن هؤلاء يقارنون النسخ بعضها مع بعض، وهذا ما كان يحصل للكتب الأخرى أيضاً التي كانت تنسخ لتباع هنا[84]، وفي الإسكندرية. ولكنّ كثيرين تحدّثوا عن هؤلاء بما يكفي.

55- وينحدر من سكيبسيس أيضاً، ديميتري الذي ذكرته مراراً في عملي هذا، وكان قد كتب بحثاً تناول فيه «التنظيم القتالي عند الطرواديين». وهو لغويّ

أيضاً؛ وقد عاش ديميتري في الزمن الذي عاش فيه كراتيت وأريستارخ. وجاء بعدهم ميترودور الذي تحوّل من الفلسفة إلى العمل السياسي، وعلّم البلاغة في أكثر مؤلّفاته؛ فقد استخدم أسلوباً جديداً فريداً من نوعه بَهر به كثيراً من قرّائه. وبفضل شهرته استطاع على الرغم من ضيق ذات اليد أن يعقد قراناً باهراً في خلكيدون، وكان يعرّف عن نفسه بصفته خلكيدونياً. وبعد أن نجح في أن يشغل مكانة عند ميتريدات إيفباتور، رحل معه إلى البونتس هو وزوجته، وبعد أن شغل منصباً قضائياً حظي بمكانة رفيعة جدّاً؛ فقد كان ممنوعاً الاعتراض على حكمه لدى الملك. ولكنّ هناءه لم يكن وطيداً: لقد أفضت به عداوة الأقلّ منه عدلاً إلى الانفصال عن الملك في أثناء السفارة التي أرسلت إلى تيغران الأرمني. أمّا تيغران فقد أعاده رغماً عنه إلى إيفباتور عندما كان هذا قد طرد من مملكة والده. ولكنّ ميترودور توفي في الطريق: من غير المعروف ما إذا كان قد أعدم بأمر من الملك[85]، أم مات بسبب المرض، فهم يتحدّثون عن الاحتمالين. وأنا بهذا أكون قد قلت ما أعرفه عن السكيبسيسيين.

56- وبعد سكيبسيس يأتي أنديرا، وبيوني، ومنطقة غارغارا. وعلى مقربة من أنديرا يوجد حجر يتحوّل لدى احتراقه إلى حديد، وعندما يصهر بعد ذلك في فرن الصهر مع نوع معيّن من أنواع التربة، يعطي الزنك الذي يتحوّل لدى إضافة النحاس إليه إلى خليط يدعوه بعضهم «نحاساً صخرياً»[86]. كما يستخرجون الزنك أيضاً من موقع قريب من تمولوس. إن هذه هي الأماكن التي شغلها الليليغيس، ومثلها المناطق القريبة من آسّوس.

57- وآسوس مدينة تحظى بحماية الطبيعة، كما أنها محصنة تحصيناً جيّداً، فالصعود إليها من البحر والميناء شاقولي وطويل، ولذلك كان ستراتونيك الكيثاريدي محقاً حينما سحب عليها قول هوميروس:

تعال إلى آسوس[87]، فتبلغ حدود موتك أسرع.

(*الإلياذا* VX، 143)

وميناء آسوس مزوّد بمرطم أمواج كبير. وإليها ينتمي الفيلسوف الرواقي كليانثوس الذي تسلّم قيادة المدرسة من زينون الكيتي وتركها من بعده لكريسيب السومي، وهنا عاش أرسطو بسبب قرابته مع التيران هرميوس. وكان هذا خصياً وعبداً لدى أحد الصرّافين[88]. وإذ وصل إلى أثينا صار إلى تلميذ لأفلاطون وأرسطو.

ولمّا عاد من هناك غدا تيراناً مع سيّده الذي كان قد استولى على منطقتي أتارنيوس وآسوس. وبعد وفاة هذا الأخير ورثه هرميوس، فدعا إليه أرسطو وكسينوقراط وأولاهما كلّ عناية؛ بل أعطى ابنة شقيقه زوجة لأرسطو. وفي تلك الأثناء كان ممنون يعمل ستراتيجاً لدى الفرس، فدعا إليه هرميوس متظاهراً بصداقته ورغبته بعقد تحالف حسن الاستقبال وما شابه من الأمور [الأخرى] المختلفة؛ لكنّه ما لبث أن أمر بإلقاء القبض على التيران، وأرسله إلى الملك حيث أعدم شنقاً. لكنّ الفيلسوفين نجحا في الفرار من المناطق التي سيطر عليها الفرس.

58- ويدعو ميرسيلوس آسوس مستعمرة الميفيمنيين؛ أمّا هيلانيكوس فيرى فيها مدينة إيولية، مثلها مثل غارغارا ولامبونيا. فغارغارا أسّسها الإسوسيّون، لكنّ قلّة سكنتها، لأنّ الملوك أرسلوا إلى هناك مستوطنين من ميليتوبوليس بعد تدمير هذه الأخيرة. ولذلك تحوّل سكّان غارغارا، على حدّ قول ديميتري السكيبسيسي، من إيوليين إلى أشباه برابرة. ولكن، بحسب هوميروس أن هذه الأماكن كلّها كانت لليليغيس الذين يعدّهم بعضهم كاريين، فقد ذكرهم على حدة:

صفوف الكاريين عند البحر، وكذلك البيونيون ذوو

القسيّ المعقوفة، وهناك أيضاً قوات الليليغيس والكافكونيين...

(*الإلياذا* X، 428)

ولذلك كانت هذه القبيلة قبيلة مختلفة عن الكاريين؛ لقد عاش هؤلاء بين القبائل، تحت حكم إينياس والأقوام الذين يدعوهم هوميروس كيليكيين. وبعد أن خرّب أخيلليس أراضيهم ونهبها، نزحوا إلى كاريا واستولوا على مناطق غاليكارناس المعاصرة.

59- لكنّ مدينة بيداس التي هجروها اندثرت ولم يعد لها وجود. بيد أنه كان ثمّة في الشطر الداخلي من البلاد مدينة دعوها بيداسا؛ ولا تزال هذه المنطقة حتّى الآن تدعى بيداسّا. ويقال، إن الليليغيس بنوا 8 مدن؛ ففي الأزمنة الماضية كانت أعداد الليليغيس كبيرة إلى حدّ لم يكتفوا عنده بالاستيلاء على شطر من كاريا وصولاً إلى ميندس وبارغيليس، بل اقتطعوا أيضاً الشطر الأكبر من بيسيدا. وفيما بعد، عندما أخذوا يشنون حملات مشتركة مع الكاريين، استوطنوا شتّى أرجاء اليونان فتبعثرت قبيلتهم واندثرت تماماً. لقد جمع ماوسولوس ستاً من مدنهم الثماني في مدينة واحدة

هـي مدينـة غاليكارنـاس (كمـا يـروي كالليسفين)، لكنّـه أبقـى سيانغيلا وميندس على حالهمـا. ويـروي هـيرودوت[89]: إنـه حينمـا حاقـت بالبيداسـيين وجيرانهـم بليّـة نبتـت لكاهنات أثينـا لحـى؛ وقـد حصـل لهـنّ هـذا ثـلاث مـرّات. وثمّـة مدينـة صغيرة في منطقـة ستراتونيكيا المعاصرة تدعى بيداس أيضاً. وحتـى يومنـا هـذا يُرونـك في كاريـا كلـها، وفي ميلتوس قبور الليليغيس، وتحصيناتهم، وآثار قراهم.

60- وبحسـب هـوميروس أنّ الكيليكـيين سـكنوا السـاحل بعـد الليليغـيس: يشـغل هـذا السـاحل الآن الأورامـاتيون، والأتـارنيتيون، والبيتـانيون وصـولاً إلى مصـب كايك. وكما كنت قد قلت[90]، فقد شـكّل الكيليكيـون منطقتين: واحـدة تحت حكم إيتيون، والأخرى تحت حكم مينيس.

61- ويدعو هوميروس طيبة مدينة إيتيون:

هاجمنا طيبة المقدّسة، مدينة الإيتيونيين؛

(الإلياذا I، 366)

ويشير الشّاعر بوضوح إلى أنّ كريسا ومعبد أبوللون السمينثي كانـا لـه أيضـاً، ولكـن إذا كانوا قد أسروا كريسيدا في طيبة؛ فهو يقول:

... هاجمنا طيبة،

فدمّرنا المدينة، وحملنا كلّ ما غنمناه إلى المعسكر،

وقسمناه بيننا، حسب ديدن الآخيين.

وأعطينا ابنة كريسوس الجميلة الخدين لابن أتريوس.

(الإلياذا I، 366)

أمّا ليرنيس فهي على حدّ قوله، لمينيس لأنّ أخيلليس

دمّر ليرنيس نفسها، وأسوار طيبة العالية،

(الإلياذا II، 691)

وقتل مينيس وإيبيستروث. ولذلك عندما تقول بريسيدا:

أنت لم تتركني عندما جندل أخيلليس عدوّ المدينة

زوجي، دمّر مأوى مينيس،

(الإلياذا XIX، 295)

فإنها لم تكن تعني بقولها طيبة (فهي كانت لإيتيون)، بل ليرنيس. لقد كانت المدينتان تقعان في سهل دُعي فيما بعد سهل طيبة الذي يقال إن خصوبته تسببت قديماً بنزاع بين الميسيسيين والليديين، ثمّ فيما بعد بين إغريق إيوليدا وإغريق ليسبوس الذين استوطنوا المكان. ويشغل الأدراميتيون الآن الشطر الأكبر من هذا السهل، لأنّ طيبة وليرنيس تقعان هنا (وتعدّ هذه الأخيرة حصناً طبيعياً)؛ ولكنّ المدينتين مهجورتان. وتبعد المدينة الأولى عن أدراميتوس 60 مرحلة، وتبعد الثانية عنها 80 مرحلة بالاتجاه المعاكس.

62- كما تقع كريسا وكيلاّ في منطقة أدراميتوس أيضاً، وحتى يومنا هذا ثمّة مكان قرب طيبة يدعى كيلاّ يقوم فيه معبد أبوللون الكيلّلي. ويجري عند هذا المكان نهر كيلّلوس الذي ينحدر من جبل إيدّا. وتقع هذه الأماكن على مقربة من منطقة أنتاندرس. وحتى نهر كيلّلوس في ليسبوس دُعي باسمه هذا على اسم هذه الكيلاّ؛ كما يوجد بين غارغارا وأنتاندرس جبل يحمل اسم كيلّلوس. ويقول دايسوس الكولوني، إنّ معبد أبوللون الكيلّلي في كولون كان قد تأسّس في بادئ الأمر على أيدي الإيوليين الذين وصلوا من اليونان بحراً. ويقولون، إن معبداً لأبوللون الكيلّلي قد شيّد في كريسا أيضاً، بيد أنه من غير الواضح ما إذا كان هذا أبوللون السمينثي أو أبوللون آخر مختلف عنه.

63- لقد كانت كريسا مدينة ساحلية صغيرة فيها ميناء؛ وإلى الأعلى منها قليلاً تقع طيبة. كما كان يقوم هنا أيضاً معبد أبوللون السمينثي، وفيها عاشت كريسيدا. ولكنّ هذا المكان مهجور الآن تماماً؛ كما نقلوا المعبد إلى كريسا المعاصرة قرب هاماكسيتوس بعد أن نزح الكيليكيون وحدهم وأقاموا في بامفيليا، بينما أقام الآخرون في هاماكسيتوس. ويزعم غير الضليعين في معرفة التاريخ القديم، إن كريسوس وكريسيدا عاشا هنا تحديداً، وإنّ هوميروس يذكر هذا المكان. ولكنْ، أوّلاً، لا يوجد ميناء هنا، بينما يقول هوميروس:

أسرعت السفينة الخفيفة ودخلت المرسى العميق صاخبة،

(*الإلياذا* I، 432)

وثانياً، لا يقوم المعبد على البحر، بينما يصفه هوميروس بأنه ساحلي:

وبعد ذلك نزلت كريسيدا من ماخرة البحار

وعندئذٍ قاد أوديسيوس الحاذق الفتاة إلى المحراب،

وردّها إلى حضن الشيخ؛

(الإلياذا I، 439)

زد إلى هـذا أنّ هـذا المكـان لا يقـع قـرب طيبـة، مـع أن هـوميروس يصـوّره علـى مقربـة، لأنّ كريسـيدا وقعـت أسـيرة هنـاك كمـا يقـول. وأيضـاً لا يوجـد أيّ مكـان في منطقة الإسكندريين يدعى كيلاّ، كما لا يوجد هنا معبد لأبوللون الكيلّلي. لكن الشّاعر يجمع كيلا:

... يا أنت الذي يحرس كريسا،

وكيلاّ المقدّسة طائفاً حولهما.

(الإلياذا I، 37)

ولكنّهم يدلّون على كيلاّ في سهل طيبة على مقربة. ويبلغ امتداد الخطّ البحري من كريسا الكيليكية حتّى محطة السفن ما يقارب 700 مرحلة، أي ما يعادل إبحار نهـار واحـد تقريبـاً، وهـو الوقـت الـذي اسـتغرقته رحلـة أوديسـيوس البحريـة[91]. لأنّ أوديسيوس إذ نزل من السفينة إلى الشاطئ، قدّم ذبيحته للإله من فوره، وبما أن المساء حلّ فقد قضى ليلته هناك، وفي الصباح الباكر أبحر عائداً. وبالكاد تشكل المسافة من هاماكسيتوس ثلث المسافة المذكورة أعلاه، وعليه فقد كان بإمكان أوديسيوس أن يبحر عائداً إلى محطة السفن فور انتهائه من تأدية طقوس تقديم الذبيحة. وعلى مقربة من معبد أبوللون الكيلّلي يقع قبر كيلّلوس الذي يشكل تلاً كبيراً. ويقولون، إنّ كيلّلوس كان حوذيّ بيلوبس، وقد حكم هذه البلاد. وربّما تكون كيليكيا قد أخذت اسمها منه، أو العكس.

64- وفي الأحوال كلّها ينبغي أن ننسب خرافات التيفكريين والفئران (فمن هنـا جـاء اللقـب المقـدّس «سـيمينثيوس»، لأنّ «سمينثـي» تعـني «فئـران»)، إلى هـذه الأمـاكن. ويبرر الكتـاب هـذه الصـفة المـأخوذة مـن مثـل هـذه الكائنـات الوضيعة، بالأمثلـة الشـبيهة الآتيـة. فمـن الجـراد (Pornopes) الـذي يـدعوه الإيتيـون Kornopes، عبدوا هرقل «الكورنوبيون»، فهو الذي خلّصهم من الجراد؛ ويعبد الإريتريون الذين يعيشون في ميمامانس، هرقل تحت اسم إيبوكتون[92]، لأنه قضى على الديدان (Ipes) الـتي كانـت تتلـف عـرائش الكرمـة. وفعـلاً، عنـد الإريتريـين وحـدهم لا وجـود لهـذه

الديـدان. وعنـد الرودوسـيين الـذين يـدعون النـدى العسـلي Erythibē (Erysibē)، معبـد لأبوللون الإريثيبي؛ ويدعو الإيوليون الآسـيون أحـد أشـهر العـام بورنوبيـون، لأنّ البيـوتيين يدعون الجراد بهذا الاسم ويقدمون الذبائح لأبوللون البورنوبيون.

65- ويـدعى المكـان الواقـع قـرب أدراميتـوس ميسـيا. وكانـت هـذه في زمـن مـا تحت حكم الليديين، ولا تزال بوابات أدراميتوس حتّى الآن تدعى البوابات الليدية، لأنّ الليدين هم الذين أسّسوا المدينة، كما تقول الحكايات. ويلحقون بميسيا قرية أستيرا المجاورة؛ وكانـت هـذه في زمـن مـا مدينـة صغيرة فيهـا معبـد لأرطميس الأستيرية مبنيّ علـى أرض مقدّسـة، وكـان الأنتانـدريون أقـرب جيران المعبـد يـديرون شـؤونه بـإجلال وتبجيـل. وتقـع أسـتيرا علـى بعـد 20 مرحلـة مـن قريـة كريسـا حيـث كـان ثمّـة معبـد لأرطميس أيضاً يقوم على أرض مقدّسة. وكان يقـع هنـاك «سياج أخيلليس». وفي داخل البلاد، على بعد 50 مرحلة، تقع طيبة الخاوية على عروشها، التي يقـول الشـاعر، إنهـا تقع «عند سفوح بلاكوس الكثيف الشجر»[93]؛ بيد أنـه لا يوجـد هنـاك مكـان يـدعى «بلاكوس» أو «بلاكس» البتّة، كما لا توجـد هنـاك غابـة لتقـع عليـه، بصـرف النظـر عـن قـرب إيـدّا مـن المكـان. وتبعـد طيبـة عـن أسـتيرا قرابـة 70 مرحلـة، وعـن أنـديرا 60 مرحلة. ولكنّ هـذه كلّهـا أسمـاء أمـاكن مهجـورة أو سـكّانها قلائـل، أو أسمـاء أنهـار شتوية فقط؛ ولم تشتهر إلاّ بفضل الحكايات القديمة.

66- أمّـا آسـوس وأدراميتـوس فهمـا مـدينتان كبيرتـان. لكـنّ بليّـة نزلـت بأدراميتوس في زمن حرب ميتريدات، فقد قتل الإستراتيج ديودور، وهـو أحـد مـواطني أدراميتوس أعضاء مجلس المدينـة إرضـاء للملك؛ وقـدّم ديـودور هـذا نفسـه فيلسـوفا مـن فلاسفة الأكاديمة قادراً على إدارة الجدال وتعليم البلاغة والبيان. وسـافر مـع الملك[94] إلى البونتس؛ لكنّه نال عقابه بعد أن أطيح بالملك؛ فقد وجهت إليـه دفعـة واحـدة جملـة من الاتهامات، وبما أنه كـان عـاجزاً عـن أن يتحمّل وزر العـار الـذي تسـبب بـه لنفسـه، فقد أمـات نفسـه جوعـاً في مـدينتي الأم. ومـن أبنـاء أدراميتـوس أيضـاً، الخطيـب الشـهير كسينوكلس الذي كان ينتمي إلى مدرسـة الخطابـة الآسـيوية؛ وكـان هـذا مـاهراً في الجدال مهارة لا يضـاهيه فيهـا أحـد، فقـد ألقـى خطبـة في السـينات دفاعـاً عـن مقاطعـة آسيا عندما اتهمت بمناصرة ميتريدات.

67- وتقع علـى مقربـة مـن أسـتيرا بحيرة لا قـرار لهـا تـدعى سـابرا، لهـا وقْـب في الشاطئ الصخري للبحر. ويتوضّع تحت أنديرا معبـد بـني تكـريمـاً لأمّ الآلهـة الأنديريـة،

وكهف جوفي يصل حتّى باليبا. وباليبا هذه قرية[95] تقع على بعد 130 مرحلة من أنديرا. أمّا الممرّ الجوفي فقد اكتشفه تيس ماعز وقع في فتحة وعثر عليه في اليوم التالي راعٍ قرب أنديرا كان قد جاء إلى هنا مصادفة ليقدّم ذبيحة. وأتارنيوس، هي مقرّ التيران هرميوس؛ تليها بيتانا، وهي مدينة إيولية فيها ميناءان؛ ويجري بالقرب منها نهر إيفنوس الذي مدّ سكّان أدراميتوس منه أنبوب ماء. وينتمي إلى بيتانا أركسيلايوس الأكاديمي الذي تلقّى تعليمه مع زينون الكيتي لدى بوليمون. وثمّة على البحر في بيتانا مكان يدعى «أتارنيوس الأدنى من بيتانا» مقابل الجزيرة التي تدعى إيلييوسا. وبحسب الروايات أن الآجرّ في بيتانا يطفو على سطح الماء، وهذا ما يحصل لنوع معروف من أنواع التربة[96] في تيرينيا، فالتراب أخف من حجم من الماء مماثل له ولذلك يطفو على السطح. ويروي بوسيدونيوس أنه رأى في إيبيريا آجرّاً طافياً على سطح الماء مصنوعاً من تربة طينية محدّدة ينظّفون بها الآنية الفضّية. وبعد 30 مرحلة من بيتانا يصبّ نهر كايك في الخليج الإيلايتي. وعلى ضفّة كايك الأخرى، بعد 12 مرحلة من النهر، تقع المدينة الإيولية إيلييا التي يستخدمها البرغاميون ميناء، وهي تقع على بعد 120 مرحلة من برغاموس.

68- وبعد 100 مرحلة تقع رأس كانا البحرية التي ترتفع قبالة ليكتوس مشكّلة الخليج الأدراميتي الذي يعدّ الخليج الإيلايتي جزءاً منه. وكانا هي مدينة صغيرة للوكريي كينوس، تقع في منطقة كانيوس قبالة أقصى الأطراف الجنوبية لليسبوس. ويمتّد هذا المكان حتّى الجزر الأرغينوسية والرأس البحرية الواقعة فوقها والتي تدعى اليوم إيغا، كالحيوان على حدّ سواء[97]؛ وينبغي أن ينطق المقطع الثاني من هذه الكلمة ممدوداً (وAktā مثل Aigā ، Archā)، لأنّ الجبل الذي يدعى الآن كانا أو كاني، دُعي كلّه هكذا. ويحيط البحر بالجبل من الجنوب والغرب، ويمتدّ تحته من جهة الشرق سهل كايك، وتقع إلى الشمال منه منطقة إيلييوس. والجبل بحدّ ذاته مضغوط بشدّة، مع أنه يشكّل منحدراً نحو بحر إيجة، ومن هناك أخذ اسمه[98]. لكنّ الرأس البحرية نفسها دعيت فيما بعد إيغا، كما تقول سابفو[99]، أمّا الجزء الآخر منها فقد دعي كانا أو كاني.

69- وبين إيليا، وبيتانا، وأتارنيوس، وبيرغاموس، تقع تيثرانيا على هذا الجانب من نهر كايك على مسافة لا تزيد على 70 مرحلة عن كلّ مكان من هذه الأماكن. وبحسب الرواية أن تيثرانس كان ملكاً على الكيليكيين والميسيسيين.

ويروي يوريبيدس[100] إن أليبوس والد أفغا عرف بالعار الذي ألحقه بها هرقل، فوضعها مع طفلها تيليث في صندوق ورمى بهما إلى البحر. ولكنّ عناية أثينا ساقت الصندوق عبر البحر إلى مصبّ نهر كايك؛ فاستقبل تيثرانس المنكوبين، ثمّ تزوّج الأم وتبنّى الطفل. وغني عن البيان القول، إن هذه القصة ليست سوى أسطورة؛ بيد أنه كان ينبغي أن يحصل تقاطع ما للظروف يجعل ابنة الأركادي تتزوّج من ملك ميسيا ويرث ابنها عرش المملكة. وعلى أي حال من الثابت تاريخياً أن تيثرانس وتيليث صارا إلى ملكين على البلاد الواقعة على مقربة من تيثرانيا ونهر كايك. ولكنّ هوميروس لا يتذكر هذه القصة إلاّ إلى حدّ معيّن:

هكذا أهلك يفريبيلوس بن تيليث بالنحاس المهلك،

وفي كلّ مكان حول القائد الشاب، تساقط الكيتون

كلهم ضحايا هدايا النساء...

(*الأوذيسا* XI، 521)

وسرعان ما يطرح علينا في غضون ذلك أحجية. فنحن لا نعرف من هم الذين قصد إليهم الشّاعر «بالكيتيين»، ولا ماذا يعني بقوله: «ضحايا هدايا النساء». ولكن حتّى اللغويون الذين يقابلون بين أساطير لا أهمية لها، غالباً ما يظهر أنهم أكثر مهارة في الاختلاق منهم في إيجاد الحلول.

70- ولكن فلندع هذا الآن؛ وإذ نلتفت إلى ما هو أكثر وضوحاً، فإننا نقول، يبدو أن يوريبيلوس بحسب هوميروس، ملك على المنطقة القريبة من كايك، وعليه ربّما يكون فريق ما من الكيليكيين قد خضع لسلطته؛ فقد كان لهؤلاء حينئذٍ ثلاث ملكيات وليس اثنتين. وما يؤكّد هذا الخبر، هو أن في منطقة إيلايت نهر شتوي صغير يدعى كيتيوس؛ ويصبّ هذا النهر في نهر آخر مثله، ويصبّ هذا الأخير في نهر آخر ليصبّوا في نهاية المطاف في كايك. ولكنّ كايك لا ينبع من إيدّا، كما يقول باخوليدس[101]؛ وليس صحيحاً أيضاً ما يقوله يوريبيدس عن أنّ مارسيوس

... في كيلينا المجيدة يعيش،

في البلاد التي يقع إيدّا على أطرافها

(*مقطع* 1085، *ناؤوك*)

إنّ كيلينا بعيدة جدّاً عن إيدّا، وكذلك منابع كايك، فهي تظهر في السهل.

وتيمنوس جبل يفصل بين هذا السهل وسهل آبيا الواقع داخل البلاد فوق سهل طيبة. ويجري من تيمنوس نهر ميسوس الذي يصبّ في كايك تحت منابعه. وعلى هذا الأساس يؤوّل بعضهم كلمات إيسخيليوس في فاتحة مقدّمة «المرميدونيين»:

إيوا كايك، إيوا نهران ميسيسيان.

(مقطع 143، ناؤوك)

وعلى مقربة من المنابع تقع قرية هيرغيثا التي هجّرا أثّال إليها سكّان هيرغيثا الطروادية بعد دمار ديارهم.

الفصل الثاني

1- بما أنّ ليسبوس جزيرة تستحق أن توصف بالتفصيل، وهي واقعة قبالة الساحل من ليكتوس إلى كانا، كما تتوضّع حولها جزر صغيرة، بعضها خارج المضيق، وبعضها الآخر بين المضيق والبرّ، لذلك حان الوقت لكي نتحدّث عنها كلّها. فهذه الجزر بدورها جزر إيولية، أمّا ليسبوس فهي بشكل ما عاصمة المدن الإيولية كلّها. وينبغي أن نبدأ الوصف من هناك، حيث كنت قد تجاوزت الساحل الواقع مقابل الجزيرة

2- وهكذا إذا أبحرت من ليكتوس إلى آسوس، فإن بداية أرض ليسبوس ستكون عند سيغريوس، وهو الطرف الشمالي للجزيرة. وتقع هنا المدينة الليسبوسية ميفيمنا، على بعد 60 مرحلة من الشاطئ، في مكان ما بين بوليميدس وآسوس. وبما أنّ محيط الجزيرة كلّه 1100 مرحلة فقط، فإن المسافة بين الأماكن كلّ على حدة: من ميفيمنا إلى ماليا، وهي أقصى طرف جنوبي، إذا تركنا الجزيرة على الجانب اليميني في النقطة التي تقع فيها كانا مباشرة قبالة الجزيرة إذ تبدو كأنها تتاخمها، تبلغ 340 مرحلة؛ ومن هناك إلى سيغريوس (وهذه المسافة تساوي طول الجزيرة)، 560 مرحلة؛ ثمّ إلى ميفيمنا 210. وتقع ميتيلينا، وهي أكبر مدن الجزيرة، بين ميفيمنا وماليوس، على بعد 70 مرحلة عن هذه الأخيرة، و120 مرحلة عن كانا، ومثلها عن الجزر الأرغينوسية؛ وهذه الأخيرة ثلاث جزر صغيرة قرب البرّ، قبالة كانا. وأضيق أجزاء الجزيرة يقع بين ميتيلينا وميفيمنا، عند قرية تدعى إيغيروس في منطقة ميتيلينا، فلا يتجاوز طول المعبر إلى يفريبوس البيرّي 20 مرحلة. وتقع بيرّا على الجانب الغربي من

ليسبوس، على بعد 100 مرحلة من ماليا. وفي ميتيلينا ميناءان، الجنوبية منهما مغلقة ويمكنها أن تستقبل 50 سفينة نقل، والشمالية كبيرة ويحميها مرطم أمواج. وتقع أمام الميناءين جزيرة صغيرة تشكّل جزءاً من المدينة التي بنيت هناك. وهذه المدينة مزوّدة بكلّ ما هو ضروري.

3- لقد عاشت في ميتيلينا شخصيات شهيرة مثل بيتاكوس الذي كان واحداً من الحكماء السبعة، والشّاعر ألكييوس وشقيقه أنتيمينيدس. ويقول ألكييوس، إن أنتيمينيدس حارب مع البابليين وفاز في معركة كبيرة وأنقذ البابليين من نكبات كبيرة كانت ستحلّ بهم،

(يقول):

ملوكاً من العمالقة أنت قتلت،

بارزت من قامته خمس أذرع.

(*مقطع 33، بيرغك*)

واشتهرت معه في الوقت نفسه سابفو، التي تعدّ ظاهرة مذهلة. فعلى حدّ علمي أنه على امتداد كلّ هذا الوقت الذي حفظه الناس في ذاكرتهم، لم تظهر أيّ امرأة يمكن أن تدانيها في ميدان الشعر. وفي تلك الأزمنة حكم المدينة عدد من التيران بسبب النزاعات الأهلية. وإلى هذه النزاعات تنتمي قصائد ألكييوس التي دعيت بالقصائد «المتمرّدة». وكان بيتاكوس واحداً من هؤلاء التيران أيضاً. وقد عدّ ألكييوس بيتاكوس تيرانا كغيره من التيران الآخرين: ميرسيلوس، وميلانكروس، والكليانكتيدس وبعض الآخرين، مع أنّ النزعات الانقلابية لم تكن غريبة عنه هو نفسه. لقد استغل بيتاكوس حيازته لمفاصل السلطة كلّها لكي يقضي على الطغمويين، وبعد أن استأصل شأفتهم، أعاد للمدينة استقلالها. وبعد أن مضى زمن طويل ولد هناك عالم البلاغة ديوفانوس، وعاش هناك في زمننا بوتامون، وليسبوكلس، وكريناغوراس، والمؤرّخ ثيوفانوس. وكان هذا الأخير رجل دولة، فبفضل مواهبه نسج علاقات ودّية مع بومبييوس الأكبر وساعده على تحقيق مشاريعه كلّها بنجاح. وأعلى تبعاً لهذا من شأن وطنه، مرّة عبر بومبييوس، ومرّة بإمكاناته الذاتية؛ فغدا أشهر إغريق زمنه. لقد ترك ثيوفانوس ولداً دعاه باسم مارك بومبييوس، وقد عيّن أغسطس قيصر هذا الأخير في وقت ما وكيلاً على آسيا؛ وهو الآن واحد من

أقرب أصدقاء طيباريوس. وكاد الأثينيون أن يجلّلوا تاريخهم بالعار عندما اتخذوا قراراً بقتل الميتيلينيين كلّهم بدءاً من الفتيان؛ لكنّهم عادوا وألغوا قرارهم، ولم يصل القرار الجديد إلى الستراتيجيين إلاّ قبل يوم واحد من تنفيذ القرار الأوّل[1].

4- لقد دمّرت بيرّا وسوِّيت بالأرض، لكنّ ضواحيها لا تزال مسكونة؛ وثمّة ميناء هناك ينطلق منه معبر إلى ميتيلينا امتداده 80 مرحلة. وبعد بيرّا تأتي إريسوس التي تقع على هضبة، وتمتدّ حتّى البحر. ومن هنا إلى سيغريبيوس 28 مرحلة. وإريسوس هي مسقط رأس ثيوفراست وفانيوس، الفيلسوفين المشّاءين، تلميذي أرسطو. وفي الأوّل كان اسم ثيوفراست تيترتاموس، لكنّ أرسطو دعاه ثيوفراست ليتحاشى تنافر أصوات النطق بالاسم، ويوحي في الوقت نفسه بشغفه برشاقة الأسلوب. وكان فعلاً يعلّم تلاميذه الفصاحة، لكنّ ثيوفراست كان أكثرهم فصاحة. وبحسب الموقع تأتي بعد سيغريبيوس مدينة أنتيسّا بمينائها؛ تليها ميفيمنا، مسقط رأس أريون، الذي وفق الأسطورة التي يرويها هيرودوت ومريدوه، رماه قطاع الطرق في البحر، لكنّه نجا عائماً على ظهر دلفين حمله إلى تينار. وكان أريون من القيثاريدس[2]؛ ويقولون، إن ثيرباندرس كان فناناً في الجنس الموسيقي نفسه، كما أنه ولد على الجزيرة نفسها. وكان ثيرباندرس أوّل من أشاع استخدام القيثارة ذات الأوتار السبعة بدلاً من القيثارة ذات الأوتار الأربعة، كما ورد في أبيات الشعر المنسوبة إليه:

نترك الأغنية التي تألّفت من أربعة أصوات،

وسننشد لك الأناشيد على الثيرمينغ السباعي الأوتار

(*مقطع 5، بيرغك*)

كما كان المؤرّخ هيلاّنيكوس، وكالليس شارح سابفو وألكييوس، من ليسبوس أيضاً.

5- وتقع في المضيق بين آسيا وليسبوس حوالي 20 أو كما يقول تيموسفين 40 جزيرة صغيرة. وتدعى هذه الجزر كلّها باسم مركّب واحد هو هيكاتونيسّا، كما هي حال البيلوبونيز، وفي مركّبات الكلمات هذه يكون الحرف الثاني نيو حرفاً زائداً عادة، كما في اسم أسماء ميونيس، وبروكونيس، غالونيس؛ ولذلك فإن هيكاتونيسا هي كأنها أبوللونيسّا[3]؛ فهيكاتوس هو أبوللون. فعلى امتداد هذا الساحل كلّه، حتّى تينيدوس تنتشر فعلاً عبادة أبوللون بألقابه: السمينثي،

والكيلّلي، والغريني، أو ببعض الألقاب الأخرى. وتقع على مقربة من هذه الجزر جزيرة بوردوسيلينا بمدينتها التي تحمل الاسم عينه؛ وتقع أمام هذه المدينة جزيرة أخرى أكبر منها وتحمل اسمها عينه؛ والجزيرة غير مأهولة، لكنّ فيها معبد مكرّس لأبوللون.

6- ولكي يتفادى بعضهم تنافر النطق بالأسماء يقولون، إنه ينبغي في هذه الحالة أن ينطق اسمها «بوروسيلينا»؛ أمّا أسبوردين، فهو اسم جبل صخري قاحل يقع قرب بيرغاموس- ومثله «أسبورين»؛ أمّا المعبد القائم هناك فينبغي أن يدعى معبد أسبورينا، والدة الآلهة[4]. ولكن ما الذي يمكن قوله عن أسماء مثل Pordalis، Saperdes، Perdikkas[5]، وعن كلمات سيمونيدس:

مغادراً في ملابس بورداكية

(*مقطع* 21، *كروزيوس*)

بدلاً من أن يقول «مبللة تماماً»؛ أو عن تعبير ورد في مكان ما في كوميديا قديمة يقول:

مكان بورداكيّ،

أي «مستنقعي»؟ - تقع ليسبوس على مسافة واحدة من تينيدوس، وليمنوس، وكيوس، وتحديداً 500 مرحلة تقريباً.

الفصل الثالث

1- بما أنه كانت تربط بين الليليغيس، والكيليكيين، والطرواديين مثل هذه الصلة من القرابة، فقد أخذوا يبحثون عن سبب عدم إدراجهم في «سجلّ الطرواديين». ربّما يكون عدد قليل من الكيليكيين الذين نجوا بعد هلاك زعمائهم ودمار مدنهم خضع لهيكتور بصفته قائداً عسكرياً. لأنّ إيتيون وأبناءه عدّوا من الهالكين قبل تصنيف «سجلّ الطرواديين»:

لقد أمات أخيلليس الذي لا مثيل له، أبي الشيخ

في اليوم الذي خرّب فيه مدينة الشعوب الكيليكية...

طيبة ذات البوابات العالية...

إخوتي الأشقاء (بقي منهم سبعة في البيت)

انتقلوا في يوم واحد إلى مأوى هاديس،

السيّئو الطالع قتلهم أخيلليس البارع السريع القدمين، كلّهم.

(*الإلياذا* VI، 414)

وكذلك الذين كانوا خاضعين لسلطة مينيس، فقدوا قادتهم ومدينتهم:

... أطاح بإيبيستروث ومينيس...

... ودمّر مأوى مينيس.

(الإلياذا II، 692، XIX، 296)

ويصوّر هوميروس الليليغيس مشاركين في المعارك، عندما يقول:

صفوف الكاريين عند البحر، والبيونيون ذوو القسيّ

المعقوفة، وهناك أيضاً قوّات الليليغيس والكافكونيين...

(الإلياذا X، 428)

ويقول في مكان آخر:

طعن ساتنيوس طعنة قاتلة، إذ هاجمه برمح مثقّف،

ساتنيوس بن إينوبس الذي أنجبته الحورية نييدس

لإينوبس راعي القطعان، على ضفاف ساتينيون.

(الإلياذا XIV، 443)

فسلالتهم لم تتقلّص إلى حدّ عدم قدرتهم على تشكيل فصيل ما خاص بهم وحدهم، خاصة أنّ ملكهم بقي على قيد الحياة:

ألتيس الذي يملك على الليليغيس الشجعان؛

(الإلياذا XXI، 86)

كما أن مدينتهم لم تدمّر كلّها؛ فالشّاعر يضيف قائلاً:

يمتلك المدينة العالية بيداس التي عند مياه ساتنيون

(الإلياذا XXI، 87)

ومع ذلك أغفلهم هوميروس في «السجل»، ولم يرَ أنهم فصيل له أهمية تذكر لكي يدرجه هناك، أو لأنه أدرجهم في عداد التابعين لهيكتور بسبب صلة القرابة الوثيقة التي تجمع بينهم. فشقيق هيكتور، ليكاون يقول:

... قصير العمر ولدتني أمي لاوثويا،

ابنة ألتيس الشيخ، ألتيس الذي يملك

على الليليغيس الشجعان.

(الإلياذا XXI، 84)

هذا هو قولي ﻓﻲ هذه المسألة، مع بعض الترجيح.

2- وإذا بحثنا عن وجود إشارات دقيقة لدى الشّاعر إلى الحدود التي امتدت إليها مناطق الكيليكيين، والبيلاسيغيس، ومن يدعون كيتيين، الخاضعين لسلطة يفريبيلوس، والذين كانوا يعيشون بين هاتين القبيلتين، فإن هذا كلّه لا يمكن الحديث عنه إلاّ افتراضياً. وأنا كنت قد تحدّثت عن الكيليكين قدر إمكاني، وأشرت لدى حديثي عنهم إلى سبب اقتصار منطقتهم على منطقة نهر كايك. أمّا البيلاسيغيس فثمّة أساس فيما قاله هوميروس والتاريخ على وجه العموم لتوضيعهم على مقربة من الكيليكيين. فهوميروس يقول:

لقد قاد هيبوثوي قبائل البيلاسيغيس الرماحة،

أولئك الذين يعيشون في حقول لاريسا الوعرة الخصيبة؛

قادهم هيبوثوي وبيلييوس، سليل أريس،

وكلاهما ابن لليثوس ابن تيوتاميدس.

(*الإلياذا* II، 840)

ويشير الشّاعر ﻓﻲ أبياته هذه بوضوح، إلى أعداد البيلاسيغيس الكبيرة (فهو لا يتحدّث عن قبيلة إنّما عن قبائل)، ويقول، إنهم كانوا يقطنون «ﻓﻲ لاريسا». والحقيقة أن هناك كثيراً من اللاريسات، بيد أننا ينبغي أن نعتقد بأن الشّاعر قصد إلى واحدة من اللاريسات القريبة؛ وربّما كان اختيار تلك التي قرب كيما هو الاختيار الأصحّ. فثمّة واحدة من اللاريسات الثلاث، تلك التي عندها ماكسيتوس، تقع ﻓﻲ مواجهة إيليون مباشرة، وهي قريبة جدّاً منها، فالمسافة بينهما تقارب 200 مرحلة؛ ولذلك لا يجوز التأكيد يقيناً أن هيبوثوي سقط ﻓﻲ المعركة التي دارت من أجل جثمان باتروكليس «بعيداً عن لاريسا موطنه الأمّ»، وتحديداً هذه اللاريسا، بل على أغلب الظنّ بعيداً عن لاريسا التي عند كيما، لأنّ المسافة بينهما حوالي 1000 مرحلة. ولاريسا الثالثة هي قرية ﻓﻲ منطقة إفسس ﻓﻲ سهل كايسترا، ويقولون، إن هذه كانت من قبل مدينة فيها معبد لأبوللون اللاريسي، وهي تقع أقرب إلى تمولوس من إفسس؛ إذ تبعد عن هذه الأخيرة 1800 مرحلة، لذلك ينبغي أن تعدّ تابعة لسلطة الميونيين. وفيما بعد، عندما بلغ الإفسيسيون درجة عالية من الجبروت، انتزعوا شطراً كبيراً من أراضي الميونيين الذين ندعوهم نحن الآن ليديين، ولذلك لا يمكن أن تكون هذه

اللاريسا لاريسا البيلاسيغيس، بل على أغلب الظنّ أن المقصود، هي لاريسا الثانية الواقعة قرب كيما. والحقيقة أنه ليس لدينا أي قرينة قويّة تؤكّد على أنه كانت هناك عندئذٍ لاريسا في سهل كايسترا، ولا حتّى إفسس نفسها؛ بينما يشهد كلّ التاريخ الإيولي الذي كان قد بدأ غداة حرب طروادا بقليل، على أن لاريسا التي عند كيما كانت موجودة.

3- وبحسب الروايات، أنّ الإيوليين اندفعوا من فريكوس، الجبل اللوكري الذي يرتفع فوق ثرموبل، وجاؤوا إلى المنطقة التي تقع كيما فيها الآن. فوجدوا البيلاسيغيس هنا وقد أنهكتهم حرب طروادا، بيد أنهم مع ذلك كانوا يسيطرون على لاريسا التي تبعد 70 مرحلة عن كيما فبنوا ضدّ البيلاسيغيس ما لا يزال حتّى الآن يدعى «السور الجديد»[1] الذي يبعد 30 مرحلة عن لاريسا، وبعد أن أخذوا لاريسا أسّسوا كيما وهجّروا إليها من بقي على قيد الحياة من سكّان لاريسا. وتيمّناً بالجبل اللوكري يدعون كيما، ومثلها لاريسا باسم فريكونيدس. ولاريسا اليوم مدينة مهجورة. ويقولون، إن السياق العام لمجرى التاريخ يجيز لنا أن نستنتج أنّ البيلاسيغيس كانوا قبيلة عظيمة. ففي مؤلّفه «تأسيس المدن»، يؤكّد مينيكراتوس الإيليي، أنّ الساحل الإيوني المعاصر كلّه، ابتداء من ميكّال، وكذلك الجزر المجاورة، كان مسكوناً بالبيلاسيغيس. ولكن الليسبوسيين يزعمون مع ذلك، أنهم كانوا تحت حكم بيلييوس الذي يدعوه الشّاعر حاكم البيلاسيغيس[2]؛ ولا يزال حتّى يومنا هذا يحمل اسمه جبل من جبال بلادهم: جبل بيلييوس. ويقول الكيوسيون، إن بيلاسيغيس جاؤوا من تساليا هم الذين أسّسوا قراهم. لقد كان البيلاسيغيس قبيلة متنقلة دائمة الترحال؛ وقد بلغت درجة عالية من الجبروت، لكنّها انهارت بسرعة، تحديداً أثناء هجرة الإيوليين والإيونيين إلى آسيا.

4- لقد كان مصير اللاريسيين فريداً، خاصة الكايستريين، والفريكونيين، والتساليين. وتكمن المسألة هنا في أنّ هؤلاء كلّهم سكنوا في بلاد تشكلت من الترسبات النهرية: فريق في منطقة نهر كايستروس، وفريق في منطقة نهر جيرم، وفريق ثالث في منطقة نهر بينييوس. - يقال، إن سكّان لاريسا الفريكونية عبدوا بياساً. ويروى أنّ هذا كان حاكم البيلاسيغيس الذي أُغرم بابنته لاريسا واغتصبها، لكنّه عوقب على إذلالها. فمرة لمحته ابنته منحنياً على خابية نبيذ، فأمسكت بقدميه وقلبته إلى داخل الخابية. هكذا تقول الروايات القديمة.

5- وينبغـي علـيّ أن أضـيف إلى المـدن الإيوليـة المعاصـرة مدينـة إيجـي ومدينـة تيمنوس، مسقط رأس هيرماغوراس مؤلِّف «فنّ البلاغة». وتقـع هاتـان المدينتان في بـلاد جبلية تعلو حدود كيما، والثوكيين، والسميرنيين، التي يجري على مقربة منها جيرم. وغير بعيد عن هـاتين المـدينتين تقـع مغنيسـيا الخاضـعة لحكـم سـيبيلوس، وهـي مدينـة أعلنهـا الرومـان مدينـة حـرّة. وكانـت هـذه المدينـة قـد تعرّضـت لهـزّة أرضـية منـذ بعـض الوقت ألحقت بها كثيراً من الأذى. والمسافة بالاتجاه المعاكس (نحـو نهـر كايك) بعـد عبـور جيرم، مـن لاريسـا إلى كيمـا 70 مرحلـة، ومـن هنـاك إلى ميرنـا 40 مرحلـة؛ ومـن هناك إلى غرينوس المسافة نفسها، ومثلها من هنا إلى إيلييا. وبحسب أرتيميدور إنـك مـن كيما تأتي إلى آدا، وتقع بعدها على مسافة 40 مرحلة رأس بحرية تحمـل اسـم هيـدرا، وهـي تشـكل مـع رأس هارماتونـت الواقعـة قبالتهـا خلـيج إيلايـت. ويصـل عـرض مـدخل الخليج إلى 80 مرحلـة، وإذا أضـفت ميرينـا، المدينـة الإيوليـة وميناءهـا، فسـوف تكـون المسافة 60 مرحلـة؛ ثـمّ تـأتي بعـد ذلـك مينـاء الآخـيين حيـث شـيّدت مـذابح للآلهـة الاثـني عشر؛ تليها مدينة غرينوس الصغيرة، ومعبد أبوللون، وموْحـى قـديم وحـرم فخـم مبـني مـن المرمر الأبيض، والمسافة إلى هذا الحرم 40 مرحلة. ومـن ثـمّ 70 مرحلـة حتّـى إيليـا حيـث تقع ميناء ومحطة شراعية للملوك الأتّاليين كان قد أسّسها مينيثييوس والأثينيون الذين شاركوا في الحملة على إيليون. أمّا الأماكن التي تأتي بعـد ذلـك، وعلـى وجـه التحديـد الأماكن الواقعة عند بيتانا وأتارنيون، فقد وصفتها من قبل.

6- وأكـبر المـدن الإيوليـة وأكثرهـا تميّـزاً، مدينـة كيمـا؛ فهـذه المدينـة تعـدّ مـع ليسبوس بشكل ما ميتروبوليا لما يقارب 30 مدينة أخرى اندثر منها حتّـى الآن عـدد غـير قليل. وسكّان كيما موضع سخرية شائعة بسبب بلاهتهم؛ فيـزعم بعضـهم أنـه بسـبب الأقاويل التي شاعت لم يبدأ هؤلاء جباية رسوم الميناء وضرائبه إلاّ بعـد مضـيّ 300 عـام على تأسيس مدينتهم، بينما لم يكن الشعب يفيد من هـذه العائـدات قبـل ذلـك. ولـذلك شـاعت الشـائعة الـتي تـزعم أن سـكّان كيمـا قـد تـأخروا كـثيراً حتّـى أدركـوا أنهـم يعيشـون في مدينـة سـاحلية. وهنـاك حكايـة أخـرى تـزعم أنهـم اقترضـوا أمـوالاً باسـم المدينة، ورهنوا أروقتها ضمانة لسدادها، وبعد أنّ أعادوا الأموال في المدة المتفق عليهـا، لم يسمح لهم بالتنزّه تحت الأروقة؛ ولكـن في أثنـاء هطـل الأمطـار دفـع الخجـل الـدائنين إلى دعـوتهم عـبر المنـادين للاحتمـاء تحـت سـقوف الأروقـة. وعنـدما بـدأ المنـادي ينـادي «ادخلـوا تحـت الأروقـة»، سـرت شـائعة زعمـت أنّ سـكّان كيمـا لا يعرفـون أنـه يجـب

الاحتماء بالأروقة من الأمطار إذا لم يعلن المنادون لهم عن ذلك. ومن مواطني هذه المدينة إيثور، الذي لا ريب في أنه شخصية فذّة، وهو تلميذ الخطيب إيسوقراط مؤلّف كتاب «التاريخ» وكتاب «الابتكارات»؛ كما كان هسيود قد ولد هناك قبله؛ ويقول هسيود نفسه، إنّ والده ديوس ترك كيما الإيولية واستقرّ في بيوتيا:

قرب هيليكون استقرّ، في قرية آسكرا التاعسة،

المضنية صيفاً، والسيّئة شتاء، وليست مستحبّة في أيّ وقت.

(*الأعمال والأيام* 639)

أمّا فيما يتعلّق بتحدّر هوميروس من هذه المدينة، فإن الآراء حول هذه المسألة تتباين، لأنّ كثيرين يتجادلون فيها وفيما يتعلّق باسم المدينة، فقد أخذته من اسم واحدة من الأمازونيس، ومثلها أيضاً مدينة ميرينا التي أخذت اسمها من اسم الأمازونيس ميرينا المدفونة تحت تلّ باتييا:

يدعوه الناس منذ القدم باتييا،

لكنّ الآلهة الخالدين يدعونه قبر السريعة ميرينا.

(*الإلياذا* II، 813)

وعلى وجه العموم حتّى إيثور لم يسلم من السخرية، إذ اتهم بأنه كان عاجزاً عن أن يتحدّث عن مآثر مدينته الأمّ لدى حديثه عن الأحداث التاريخية الأخرى، لكنّه مع ذلك، ورغبة منه في ألاّ تبقى المدينة مجهولة، يعلن متفاخراً: «في هذا الوقت كان سكّان كيما يعيشون بسلام!». - وبما أنني عبرت في وصفي الساحل الطروادي والساحل الإيولي، فإنه ينبغي أن أعطي بحسب الترتيب، لمحة متعجّلة عن الشطر الداخلي من البلاد وصولاً إلى طوروس، ملتزماً خطّة الوصف نفسها.

الفصل الرابع

1- تسود برغاموس على هذه الأماكن كلّها سيادة واضحة، وبرغاموس مدينة شهيرة ازدهرت زمناً في عهود ملوك السلالة الأتّالية. ولذلك ينبغي عليّ أن أبدأ وصفي منها، ومن الضروري أن أبدأ بالحديث عن أصل ملوكها والمصير الذي حلّ بهم. لقد كانت برغاموس كنز ليسيماخ بن أغاثوكلس أحد خلفاء الإسكندر ، أمّا سكّان المدينة فقد كانوا يقيمون على أعلى قمّة الجبل. ولهذا الجبل شكل مخروطي ينتهي

بقمة حادّة. وقد عهد بحماية هذه القلعة والحفاظ على الكنوز المخزونة فيها (كانت قيمتها تبلغ 9000 تالانت من الفضّة)، إلى فيليتروس الثيـيّ الذي كان خصياً منذ طفولته. ففي إحدى الجنازات، وأثناء تقديم العرض المسرحي توافد إلى المكان طوفان من البشر، فحدث أن أحاط الحشد بمرضعة فيليتروس الصغير التي كانت تحمله على ذراعيها وزحمها بقوة أدت إلى إعاقة الطفل. وعلى هذا النحو صار فيليتروس إلى خصيّ، لكنّه نال تربية ممتازة جعلت منه أهلاً لمثل هذه الثقة. فبقي لبعض الوقت وفيّاً لليسيماخ، بيد أنه بعد أن اختلف مع أرسينوي زوجة ليسيماخ التي افترت عليه، حرّض برغاموس على العصيان وقاد انتفاضتها مستغلاً معطيات اللحظة، إذ رأى أن المدينة مستعدّة للانفصال. لأنّ النزاعات العائلية أرهقت ليسيماخ، فاضطر لقتل ابنه أغاثوكلس؛ ثمّ هاجم سلوقس نيكاتور البلاد وهزمه، وبعد ذلك لحقت الهزيمة بهذا نفسه وقتل غدراً على يدي بطليموس كيرافنوس. وفي أثناء هذه القلاقل بقي الخصي قائداً للقلعة وحاكماً للمدينة، فقدّم وعوداً سخية، وأبدى كلّ آيات الاهتمام والعناية؛ وعلى وجه العموم، كان هذا دائماً يبدي مثل هذه المجاملات لكلّ من يملك سلطة، أو للمقربين منهم. وعلى أيّ حال بقي الرجل 20 عاماً سيد القلعة وكنوزها.

2- وكان لفيليتروس شقيقان: الأكبر إيفمين، والأصغر أتّال. وكان لإيفمين ولد حمل اسم والده نفسه، وقد ورث هذا سلطة والده على برغاموس، بل وكان في ذلك الوقت سيّداً على المناطق المحيطة بها؛ فخاض معركة ضدّ أنطوخ بن سلوقس عند ساردا وانتصر عليه. وبعد 22 عاماً من الحكم توفّي إيفمين[1]. فورث العرش أتّال ابن أتّال وأنطوخيدا ابنة آخيوس، وكان هذا أوّل من أُعلن ملكاً بعد انتصاره الكبير على الغلاطيين. ثمّ أقام أتّال علاقات صداقة مع الرومان، بل حارب إلى جانبهم ضدّ فيليب مع أسطول الرودوسيين. وتوفي أتّال شيخاً عجوزاً بعد 43 عاماً من المُلْك[2]؛ وترك وراءه من أبوللونيدا أربعة أبناء: إيفمين، وأتّال، وفيليتروس، وأثينوس. ولم يملك من هؤلاء سوى أكبرهم إيفمين. وقد حارب هذا إلى جانب الرومان ضدّ أنطوخ الأكبر وبرسيوس، فنال كلّ المنطقة الواقعة على هذا الجانب من طوروس التي كانت تحت حكم أنطوخ. وقبل ذلك لم تكن حدود برغاموس تضم مناطق كثيرة تمتدّ حتّى البحر عند الخليج الإيلايتي والخليج الأدراميتي. لقد أعاد هذا الإيفمين بناء المدينة وغرس حديقة في نيكيفوريوس؛ وبنى علاوة على هذا أبنية مقدّسة، ومكتبات وأعلى شان برغاموس إلى المستوى التي هي عليه الآن، وكان دافعه إلى ذلك كلّه، هو حبّ

البذخ والفخامة. وبعد 49 عاماً من الملك[3]، ترك إيفمين عرشه لأتّال، ابنه من ستراتونيكا ابنة الملك القبدوقي في أرياراف. وعيّن شقيقه أتال وصيّاً على ابنه الذي كان لا يزال في مقتبل العمر، وحاكماً على المملكة. وبعد حكم[4] دام 21 عاماً توفّي شقيقه عجوزاً، لكنّه كان قد حقّق نجاحات في مجالات كثيرة. فقد ساعد، على سبيل المثال، ديميتري ابن سلوقس على هزيمة الإسكندر بن أنطوخ في الحرب التي دارت بينهما، وحارب إلى جانب الرومان ضدّ فيليب الدجّال، وفي الحملة على تراقيا ألحق الهزيمة بديجيلوس ملك الكينيين؛ كما قتل بروسيوس بعد أن نجح في تحريض ابنه نيقوديموس عليه، وترك السلطة لأتال الذي كان وصياً عليه. وحكم آتّال 5 أعوام[5]، نال خلالها لقب فيلوميتور، ومات مريضاً، تاركاً العرش للرومان. فجعل هؤلاء من المملكة مقاطعة رومانية باسم آسيا، وهو الاسم نفسه الذي تحمله القارّة. ويجري نهر كايك قرب برغاموس عبر السهل الذي يدعى سهل كايك، مخترقاً منطقة شديدة الخصوبة، لعلّها الأفضل في ميسيا كلّها.

3- وفي زمننا هذا اشتهر من البرغاميين: ميتريدات بن مينودوت وأدوبوغيونا. وينتمي مينودوت إلى سلالة التترارخيين الغلاطيين، أمّا أدوبوغيونا فيروى أنها كانت جارية الملك ميتريدات. ولذلك دعا أقاربها الطفل باسم ميتريدات ونسبوه إلى الأصل الملكي. وعلى أيّ حال صار هذا إلى صديق لقيصر الإلهي، وبلغ شأواً دفع بعائلة والدته إلى إعلانه تترارخاً وملكاً على البسبور وسواها من الأراضي. لكنّ أساندرس أطاح به، ولم يكتف بقتل الملك فارناك بل استولى على البسبور أيضاً. وقد رأوا أن ميتريدات يستحق لقب «عظيم»، مثله مثل البلاغيّ أبوللودوروس مؤلّف كتاب دليل «البلاغة». فهو الذي أسّس مدرسة أبوللودوروس، كائنة ما كانت هذه المدرسة. فكثير من المدارس الفلسفية حقّق نجاحاً، لكنني غير قادر على أن أعطي حكماً بها؛ ومن هذه المدارس مدرسة أبوللودوروس ومدرسة ثيودوروس. وقد علا شأن أبوللودوروس بشكل أساس بفضل صداقته مع قيصر أغسطس، إذ علّمه فنّ البلاغة. وكان لأبوللودوروس تلميذ فذّ، هو ديونيسيوس الأتيكي، ابن بلاده؛ وكان هذا بحق واحداً من معلميّ الحكمة الموهوبين، ومؤرّخاً، وواضع مرافعات قضائية.

4- وإذا ما تركت السهل والمدينة إلى الأجزاء الشرقية من البلاد، فإنك تلاقي مدينة أبوللونيا الواقعة في المرتفعات. وتمتدّ نحو الجنوب سلسلة جبلية؛ وإذ تعبرها على الطريق التي تتّجه إلى ساردا، فإنك تقترب من جهة اليسار إلى مدينة ثياتيرا، وهي

مستوطنة مقدونية رأوا فيها اليوم آخر مدن الميسيسيين. وعلى الجهة اليمنى تقع مدينة أبوللونيدا، على بعد 300 مرحلة من برغاموس، ومثلها من ساردا؛ وحملت هذه المدينة اسم أبوللونيدا الكيزيكية نفسه. ثمّ بعد ذلك مباشرة يأتي سهل جيرم وساردا. ويشغل الميسيسيون الشطر الأكبر من المنطقة الواقعة إلى الشمال من برغاموس، وعلى وجه التحديد، البلاد التي تقع على يمين الذين يسمّونهم الأبيتيين، الذين تتاخمهم حتّى بيثينيا إيبيكتيت[6].

5- وتعدّ ساردا مدينة كبيرة مع أنها ظهرت بعد حرب طروادا، لكنّها مع ذلك مدينة قديمة فيها قلعة تحصيناتها قوّية. فقد كانت هذه المقرّ الملكي لليديين الذين يدعوهم هوميروس ميونيين. كما يدعوهم المؤلّفون الأحدث عهداً ميونيين أيضاً، وفي غضون ذلك فإنّ بعضهم يدغمهم بالليديين، بينما يميّزهم الآخرون عنهم؛ لكنّ الأصحّ أن يعدّوا شعباً واحداً. ويعلو فوق ساردا جبل تمولوس، وهو جبل خصيب تنتشر على قمّته نقاط مراقبة، وتشكّل هذه الأخيرة شرفة مسقوفة بالمرمر الأبيض؛ وهي منشأة بناها الفرس، وتشرف على سهول الضواحي كلّها، خاصة سهل كايسترا. وفي كلّ مكان هنا يقطن ليديون، وميسيسيون، ومقدونيون. ويجري من جبل تمولوس نهر باكتول؛ وفي الأزمنة القديمة كانت ترسبات هذه النهر غنية جدّاً بالذهب، ولذلك يقال، إن هذا كان سبب شهرة ثراء كريز وأسلافه. لكنّ الرمال الذهبية اختفت الآن. ويصبّ باكتول في جيرم الذي يصبّ فيه أيضاً نهر هيللوس الذي يُدعى الآن فريجوس. وعلى حدّ قول هيرودوت[7]، إنّ هذه الأنهار الثلاثة تلتقي في مجرى نهر أقلّ أهمية منها ثمّ تصبّ في البحر قرب ثوكيا. أمّا جيرم فينبع من ميسيا، من الجبل المكرّس لديندیمينا، ثمّ يجري عبر كاتاكيكاومينا[8] في منطقة ساردا والسهول المجاورة، كما أسلفت القول، ومن هناك إلى البحر. وتنبسط تحت المدينة سهول ساردا، وكيرا، وجيرم، وكايسترا، التي يتاخم بعضها بعضاً، وهي أجمل السهول كلّها. وعلى بعد 40 مرحلة من المدينة تقع بحيرة تدعى هوميروس غيغيبيا[9] بدّلوا اسمها بعد ذلك فباتت تدعى كولويا؛ ويقع هناك معبد أرطميس الكولوينية الذي يعدّ من المقدّسات العظيمة. ويروى أن الفتيات يرقصن هنا أثناء الاحتفال بالعيد رقصة سلال القرابين[10]؛ وأنا لا أعرف حقّاً لماذا يروون شتّى الخزعبلات بدل أن يقولوا الحقيقة.

6- وعادة ما يضيف بعضهم إلى أبيات هوميروس المعتادة:

وفي إثرهم أنتيفوس وميستلس، قائدا الرجال الميونيين،

ولدا تاليمينوس، ابنا البحيرة الغيغية،

قادا جحافل الميونيين، عند تمولوس الشاهق وُلدا،

(الإلياذا II، 864)

بيتاً رابعاً:

قرب تمولوس الثلجي، في قرية جيدا المزدهرة.

بيد أنه ليس في بلاد الليديين أيّ جيدا. وبعضهم يستخرج من هنا تيخوس الذي يذكره الشاعر:

... السراج الأشهر الذي يعيش في ملاذه جيدا

(الإلياذا VII، 220)

ويضيفون في غضون ذلك، إن هذا المكان مكان حراجيّ يتعرّض غالباً لضربات الصواعق، وقد عاش الأريميّون فيه. فإلى بيت هوميروس:

هناك بين الأريميين، حيث مرقد تيفييوس، كما يقولون.

(الإلياذا II، 783)

يضيفون بيتاً يقول:

في الأرض الحراجية وجيدا الطرف الخصيب.

وينقل آخرون مكان أحداث الأسطورة إلى كيليكيا، وهي الآن في سوريا. وينقلها فريق ثالث إلى بيفيكوسا مشيرين في غضون ذلك إلى أن التيرينيين يدعون القرود[11] أريمي. ويدعو الفريق الرابع ساردا باسم جيدا، بينما يرى فريق خامس أن جيدا هي قلعة ساردا. ويرى ديميتري السكيبسيسي أن الكتاب الذين يستحقّون أكبر الثقة، هم الكتّاب الذين يوضّعون الأريميين في كاتاكيكاومينا الميسيسية. أمّا بينداروس فيجمع أساطير بيفيكوسا (الواقعة أمام منطقة كيما) مع الأساطير الليكية والأساطير الصقلية، لأنّ تيفون بحسب قوله، يستلقي تحت إيتنا:

... ذلك الذي أطعمه يوماً

كهف كيليكيا المجيد، والآن فوق شواطئ

كيما التي يغسلها البحر،

وفوق صقليا يضطهده الفرس الشعثاء.

(بيفيكوسا I، 31)

وفي مكان آخر:

وانتشر حول إيتنا كحلقة مهولة

ثمّ بعد ذلك:

روّض أحد الآلهة تيفون الرهيب ذا الخمسين رأساً،

بقوّة زيوس الأب، في زمن ما بين الأريميين.

(*مقطع* 93، *بيرغك*)

ويعتقد بعضهم أنّ السوريين، هم الآريميون الذين يدعون الآن آراميين، ويزعمون أنّ الكيليكيين الذين كانوا يعيشون في طروادا ثمّ طردوا منها، نزحوا إلى سوريا وانتزعوا من السوريين المنطقة التي تدعى الآن كيليكيا. وأخيراً يزعم كالليسفين أنّ الآريميين عاشوا قرب جبل كاليكادنس ورأس سربيدون البحرية عند كهف كوريكوس مباشرة؛ وأنّ الجبال المجاورة التي تدعى الجبال الآريمية، أخذت اسمها منهم.

7- وتقع حول بحيرة كولويا شواهد قبور ملوك. وعند ساردا نفسها يرتفع على قاعدة عالية تلّ ألياتا الذي يقول هيرودوت[12]، إن سكّان المدينة هم الذين شيّدوه وإنّ القسم الأكبر من الأعمال نهضت به الفتيات. فهو يقول، إن الفتيات كلّهن يمارسن الدعارة، وثمّة من يرى في هذا التلّ تلّ الدعارة. ووفق ما نقله بعض الكتّاب، أنّ بحيرة كولويا بحيرة صناعية جرى حفرها لتخزين فائض مياه فيضانات الأنهار. - لدى الهبوط من جبل تمولوس إلى سهل كايسترا تقع مدينة هيبيبا.

8- ويروي كالليسفين أنّ الكيميريين أوّل من استولى على ساردا تلاهم التريريون والليكيون (وهذا ما يؤكّده شاعر المراثي كالّلينوس)، ثمّ سقطت في آخر مرّة على عهد كلّ من قورش وكريز. وحينما يقول كاللينوس، إن الكيميريين شنّوا غزوة على الإيسيونيين (عندما تمّ الاستيلاء على ساردا أيضاً)، فإن ديميتري السكيبسيسي ومشايعيه يفترضون، أن كاللينوس دعا الأسيونيين بالإيونية إيسيونيين. فعلى حدّ قوله، قد تكون ميونيا دعيت بآسيا، كما يقول هوميروس أيضاً:

في المرج الآسيوي الذهبي، لدى كايستر

الواسع المجرى.

(*الإلياذا* II، 461)

ولكنّ المدينة عادت وازدهرت من جديد بفضل خصوبة المنطقة الواقعة فيها؛ ولم تقصّر عن أيّ من المدن المجاورة؛ ولكنّ منازل كثيرة فيها تهدّمت منذ بعض الوقت بفعل هزّة أرضية. وعلى وجه العموم فإنّ المدينة وكثيراً من المدن الأخرى التي ضربتها هذه الكارثة أُعيد بناؤها الآن بفضل عناية طيباريوس، الإمبراطور الحالي وإحسانه.

9- ومن المشاهير الذين ينتمون إلى عائلة واحدة من عائلات ساردا، خطيبان من عائلة الديودوريين؛ والأكبر منهما، زينون ألقى خطباً كثيرة دافع فيها عن آسيا أثناء المحاكمات؛ وبعد أن اجتاح الملك ميتريدات البلاد اتهم زينون بتحريض المدن على التمرّد على الملك، لكنّه ألقى خطبة برّأ فيها نفسه من هذا الافتراء. أمّا الأخ الأصغر، ديودوروس الذي كان صديقاً لي فقد كتب مؤلّفات تاريخية، وقصائد غنائية وغير ذلك من القصائد التي أظهرت إلى حدّ ما أسلوباً قديماً. أمّا كسانثوس، المؤرّخ القديم فهو يعدّ ليدياً، لكني لا أعرف ما إذا كان ينحدر من ساردا.

10- ويأتي بعد الليديين الميسيسيون ومدينة فيلاديلفيا التي غالباً ما تعاني من الهزّات الأرضية. فجدران منازلها متشققة دائماً، وغالباً يعاني هذا الشطر من المدينة أو ذاك من هذه النائبة. ولذلك لم يبق في المدينة سوى عدد قليل من السكّان، بينما يعيش أكثرهم في القرى، حيث يعملون في الزراعة، لأنّ تربة البلاد خصبة. وعلى وجه العموم فإن من بقي ليعيش في المدينة يثير تعلّقه بهذا المكان وارتباطه به كثيراً من الاستغراب، لأنّ منازلهم فيها ليست راسخة أو متماسكة بما يكفي للإقامة فيها بأمان. كما يثير مؤسّسو المدينة الاستغراب أكثر.

11- وبعد هذه المنطقة تأتي البلاد التي تدعى كاتاكيكاومينا[13]: طولها 500 مرحلة، وعرضها 400 مرحلة؛ ولكننا لا نعرف ما إذا كان ينبغي أن ندعوها ميسيا أم ميونيا، فهي تدعى بالاسمين. وليس في هذه المنطقة كلّها شجر، ما عدا دوالي الكرمة التي تعطي النبيذ الكاتاكيكاوميني، الذي لا يقلّ جودة عن أفخر أنواع النبيذ المعروفة. وتغطي سطح السهول هنا طبقة من الرماد، أمّا شطر البلاد الجبلي والصخري، فلونه أسود كالسواد الذي يتركه الحريق. ولذلك فإن بعضهم ينسب هذه الظاهرة الأخيرة إلى فعل الصواعق والأعاصير النارية الجوفية، ومن غير تردد ينقلون إلى هنا أساطير تيفون. ويقول كسانثوس، إنّ ملك هذه الأماكن يدعى أريموس. بيد أن الفرضية التي تزعم أن هذه البلاد الشاسعة كلّها قد احترقت بسبب هذه الظاهرات، هي فرضية تفتقر إلى الأساس الواقعي؛ فعلى أغلب الظنّ أنها عانت

مـن النيران الـتي كـان جـوف الأرض يقـذفها والـتي نضـبت مصـادرها الآن. ويرونـك هنـا ثلاثة أخاديد تدعى «المنافع»، تقع واحدتها عن الأخرى على مسافة 40 مرحلة. وتقع فوق هذه الأخاديد تلال صخرية تشكلت على أغلب الظنّ من الصـخور الـتي فتتتهـا النيران التي أطلقها باطن الأرض. ومثل هذه التربة ملائمة أحسن الملاءمة لزراعة الكرمة، وهو ما يؤكّد مثال تربة كاتان التي يغطيها الرماد وتعطي الآن كثيراً من الأعنـاب البديعـة. ولـذلك لاحـظ بعـض الكتّـاب بمقتضـى الحـال في مثـل هـذه الأمـاكن، أنّ تسـمية ديونيسيوس «بالمولود من النار»[14]، هي تسمية مشروعة.

12- إنّ البلـدان الواقعـة بعـد ذلـك نحـو الجنـوب مـن هـذه المنـاطق وصـولاً إلى طوروس، متداخل بعضها مـع بعض تـداخلاً يصـعب معـه التفريـق بـين أجـزاء فريجيـا، وكـاريا، وليـديا، وبـلاد الميسيسـيين. وقـد سـاعد علـى هـذا التخـالط بدرجـة كـبيرة، امتناع الرومان عن تقسيم هؤلاء بحسب قبائلهم، بل نظّموهم وفق إدارة منـاطق صغيرة كانوا يعقدون فيها اجتماعات مجلس الشعب والجلسات القضائية. إن جبل تمولـوس عبارة عن مجموعة ضيّقة من الجبال دائرة امتدادها المعتدل وحدودها تـدخل كاملـة في إطار المنطقة الليدية؛ أمّا ميسـوجيد فيمتـدّ بالاتجـاه المعاكس حتّـى ميكـال، بـدءاً مـن كيلينـا، كمـا يقـول ثيوبومبـوس. وعلـى هـذا النحـو يشـغل الفريجيـون أجـزاء مـن هـذا الجبل (الأجزاء القريبة من كيلينا وأفاميا)، بينما يشغل أجـزاء أخـرى منـه الميسيسـيون والليديون، ويشغل الكـاريون والإيونيون ما تبقى منه. والأنهار أيضاً، خاصـة ميانـدرس، تارة تفصل بعض القبائل عن بعضها الآخر، وتارة أخرى تجـري في وسـط المنـاطق بحيـث يصعب تعيين حدود القبائل بدقّة. وهذا نفسه ينسحب على السهول، الواقعة علـى جـانبي المنطقـة الجبليـة ومنطقـة الأنهـار. وعلـى أيّ حـال، ربّمـا لا يجـدر بـي أن أخـوض في هـذه الموضوعات، كما يفعل علماء المساحة، ولـذلك يكفـي أن أنقـل معطيـات مـن سـبقونا وحسب.

13- ويجاور سهل كايسترا الواقـع بـين ميسـوجيدا وتمولـوس، يجـاوره مـن جهـة الشـرق السـهل الكيلبيـاني؛ وهـو سـهل شاسـع فيـه أعـداد كـبيرة مـن السـكّان وتربتـه خصبة. ثمّ يليه السـهل الهركـاني، هـكـذا دعـاه الفـرس وسـاقوا مـن هنـاك مسـتعمرين. وعلى النحو نفسه أعطى الفرس للسهل اسـم قـورش. ويلـي هـذا السـهل السـهل البيلتيني (في فريجيا)، والسهل الكيلاني، والسهل التابيني، حيث تنتشر مدن صغيرة سـكّانها خليط من الفريجيين والعنصر البيسيدي؛ ومن هنا أُطلقت على هذه السهول أسماؤها.

14- وإذا ما تجاوزنا ميسوجيدا بين منطقة الكاريين ونيسايدس، وهي بلاد على هذا الجانب من مياندرس تمتدّ حتّى كيبيراتيدا وكاباليدا، فإن مدناً تقع هناك قرب ميسوجيدا قبالة لاوديكا: هيرابوليس، حيث توجد ينابيع المياه الحارّة، ومعبد بلوتون؛ وقد شاعت عنها وعنه حكايات خرافية: بعد أن تبرد مياهها تتحوّل بسهولة ويسر إلى طفّ إذ أجريته في قنوات يجعل من جدرانها حجارة كاملة. أمّا معبد بلوتون، فهو عبارة عن فتحة كهف أبعادها صغيرة يقع تحت بروز صغير لمنطقة جبلية؛ ولكنّ هذا الكهف كبير إلى حدّ استيعاب شخص فيه، أمّا في العمق فإنه يتوغل بعيداً. ويقع أمامه حيّز مربّع الشكل يحميه سياج امتداد محيطه قرابة $\frac{1}{2}$ بليفر. ويملأ هذا الحيّز دخان كثيف على شكل غيمة تجعل من الصعب رؤية القاع. والهواء حول الحيّز قرب السياج غير مؤذ، لأنه يكون نقياً من الدخان عندما يكون الطقس هادئاً إذ يبقى هذا الأخير داخل السياج؛ أمّا إذا عبر حيوان إلى داخل السياج فإنه ينفق في اللحظة. وعلى أيّ حال فإن الثيران التي تساق إلى هناك تسقط من فورها ويرفعونها من هناك وقد نفقت. وأنا أطلقت في المكان عصافير الدوري ففارقت الحياة في اللحظة عينها التي دخلت المكان فيها. ولكنّ الخصيان الغاليين(15) يعبرون المكان من غير أن يصابوا بأذى، مع أنهم يدنون من الفتحة مباشرة؛ ثمّ ينحنون ويدخلون إلى داخل الكهف ويتقدّمون في داخله إلى حدّ معيّن وهم يحبسون في أثناء ذلك نَفَسَهم قدر ما يستطيعون. وأنا استطعت أن أرى في تعابير وجوههم علامات نوبة اختناق. ولكن هل لكلّ مشوّه على هذا النحو مثل هذه الحصانة ضدّ الاختناق، أم أنها لكهنة هذا المعبد فقط؛ وهل هي ناجمة عن عناية إلهية، كما يحصل عادة في حالة الولع الإلهي، أم أنها تعدّ نتيجة لفاعلية قوى فيزيائية معيّنة مضادة للدخان؟ أمّا فيما يخصّ تحوّل الماء إلى حجر، فإنهم يقولون، إن هذه الظاهرة تحدث أيضاً في أنهار لاوديكا، مع أنّ مياهها صالحة للشرب. ومياه هيرابوليس مياه ممتازة لصباغة الأصواف؛ فالأصواف المصبوغة بصباغ نبات الفوّة تنافس في جودتها تلك المصبوغة بصباغ الرخويات القرمزية أو القرمز. والماء هناك وفير، وفي المدينة كثير من الحمّامات.

15- وبعد هيرابوليس تأتي المناطق الواقعة على ذلك الجانب من مياندرس؛ وأنا كنت قد قدّمت وصفاً للمناطق الواقعة حول لاوديكا وأفروديسيادا، والتي تمتدّ حتّى كارورا. وتأتي بعد ذلك المناطق التي تقع باتجاه الغرب، وعلى وجه التحديد، مدينة الأنطوخيين الواقعة على مياندرس وتدخل قوام كاريا، ثمّ المناطق التي تقع على الاتجاه

الجنـوبي: كـيبيرا الـكبرى، وسـيندا، وكاباليـدس، الـتي تمتـدّ كلّهـا حتّـى طـوروس وليـكيـا. أمّـا أنطاكيـا فهـي مدينـة متوسـطة الحجـم وتقـع علـى ميانـدرس مباشـرة في منطقة قريبة من فريجيا، وفيها جسـر علـى نهـر مياندرس. وللمدينـة أرض شاسـعة علـى جـانبيّ النهـر، وهـي كلّهـا أراضـي خصـبة؛ وتنـتج كـثيراً مـن الـتين الـذي يـدعى الـتين «الأنطاكـي» المجفّف الذي يسمّى أيضـاً «ثلاثـي الورقـات». وتعـاني هـذه المنطقـة بـدورها من الهزّات الأرضية. وفي هذه القبيلة ولد الصوفيّ الشهير ديوتريفوس الذي كـان يسـتمع إليه هيبرييوس أعظم خطباء عصرنا.

16- ويقال إن السوليميين هـم سـكّان كاباليـدس؛ فالتـلّ الـذي يعلـو فـوق قلعـة الترميسيين يدعى سـوليم، وكـذلك الترميسـيون يـدعون سـوليميين أيضـاً. وعلـى مقربـة مـن المكـان يقـع سـياج بيلليروفـون وقـبر ابنـه بيسـاندرس الـذي سـقط في معركـة مـع السوليميين. وتتوافق هذه القصة مع ما يقوله هوميروس؛ فالشّاعر يقول عن بيلليروفون:

بعد الحرب هاجم السوليميين، الشعب الماجد.

(*الإلياذا* VI، 184)

ويقول عن ابنه:

ابنه بيساندرس(16) قتله إينيالوس الذي لا يشبع من القتل،

عندما كان هذا يقاتل السوليميين...

(*الإلياذا* VI، 203)

أمّا تيرميس فهي مدينة بيسيدية تقع فوق كيبيرا وعلى مقربة مباشرة منها.

17- ويعدّ سـكّان كيبيرا أحفاد الليديين الذين كـانوا يملكـون كاباليـديس، وبعد ذلك منطقة جيرانهم البيسيديين؛ وقد سـكن هـؤلاء الأخـيرون هنـاك ونقلـوا المدينـة إلى مكـان آخر محصّن تحصيناً ممتازاً امتداد محيطه قرابـة 100 مرحلـة. ونمـت المدينـة نمـوّاً سـريعاً بفضـل قوانينهـا الجيّـدة، فامتـدّت قراهـا مـن بسـيديا وميليـادا حتّـى ليـكيـا والسـاحل الواقـع قبالـة رودوس. وبعـد أن انضـمّت إليهـا المـدن الـثلاث المجـاورة: بوبـون، وبالبور، وإينوانـدس، بـات الاتحـاد يـدعى تترابـوليس، وكـان لكـلّ طـرف مـن أطرافـه صوت واحد، ما عدا كيبيرا التي كـان لهـا صـوتان. لأنّ كـيبيرا وحـدها كانـت تقـدم 300.000 مـن المشـاة، و2000 مـن الفرسـان. وكـانـت هـذه دائمـاً تحـت حكـم الـتيران، لكـنّهم كـانوا يحكمـون باعتـدال. ولكـن في عهـد مواجيتـوس انتهـى زمـن التيرانيـة،

عندما دمّرها مورينا وضمّ بالبورا وبوبون إلى أراضي الليكيين. ومع ذلك تعدّ منطقة كيبيرا واحدة من أكبر مناطق آسيا. وكان سكّان كيبيرا يتحدّثون بأربع لغات: البسيدية، والسوليمية، والإغريقية، والليدية. ولم يبق أثر للغة الليدية في ليديا. وتتميّز كيبيرا بأن الحديد فيها سهل الجلفطة. أمّا ميليا فهي بلاد جبلية تمتدّ من أخدود تيرميس والمعبر الذي يقود عبر فجّ إلى المنطقة الواقعة على هذا الجانب من طوروس نحو إيسيندا، حتّى ساغالاس وبلاد الأفاميين.